فريق
متميزون
E-BOOK

روايات مصرية للجيب

10

ميتا فيزيقا

ابن الضحاك

أحمد فكري

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لسلسلة (ميتافيزيقا)

كلمه مهمة: هذا العمل (تحويل سلسلة ميتافيزيقا للكاتب أحمد فكري الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة ميتافيزيقا
العدد رقم (10)

ابن النعمان

تأليف: أحمد فكري

ميتافيزيقا..

مصطلح يعنى الأشياء التي لا تخضع لقوانين الطبيعة، أو يمكن التعبير عنها مجازيًا، بأنها الأشياء التي تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة.. وقد أتت الكلمة من الكلمتين اليونانيتين (μετά) ومعناها (ميتا: ما وراء أو بعد) و(φυσικά) وتعنى (فيزكا: مادي أو طبيعي).

أحمد فكري

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بداية ليست جيدة

1

تبًّا لهذا الحر.

تبًّا لهذا الذباب، متى دخلت تلك الحشرات إلى المنزل، لقد أغلقت الشرفة منذ الصباح، فكيف دخل إلى الشقة وبات فيها؟!

إن هذه المخلوقات لكريهة حقًّا، إن كنت أحقدها على شيء فقد أحقدها على نسيانها، فهي تنسى كل شيء كل ثانية، لهذا تجدها تقف على أنفك مائة مرة في الثانية، فتجعلك تسب العالم بأسره.

أسمع صوت جاري (هيثم السلحدار) الذي نفذ صراخه إليَّ، يصرخ كعادته في ابنه (علي) مهددًا إياه بأنه سيلقي به في أقرب سلة مهملات، إن لـم يصر طفلًا جيدًا كباقي الأطفال الصغيرة التي تحترم نفسها، أو أنه سيضعه تحت أسفل الكوبري كي يتسول؛ لأنه لا يدرك مدى النعيم الذي يعيش فيه الآن، ثـم يسب زوجته التي لا تصلح لشيء سوى تقشير المكرونة وسلق البسلة وعمل المحشي، هنا يأتي دور زوجته (رباب) التي تصرخ في الجميع.. فهي تحمل البيت على عاتقها وفوق رأسها، لا تكل ولا تمل، والآن جزاؤها السباب، إذن فلتبدأ المعركة.

أترك أنـا كـل هـذا وأترك الشقة بأثرهـا، وأترك (هيثم) وزوجتـه، وأترك المروحـة الصغيرة تئن كما هي، فلا فائدة منها سوى بعض الأزيز كأنها تساعد الذباب في عمله، أهبط الدرج مارًّا بشقة (هيثم السلحدار) الذي ما زال صهيل الخيل يدوي في شقته والحرب مشتعلة.

الشارع.. الظلام.. الهواء.

عمود كهربي واهن يضفي جوًّا حزينًا على الطريق، أعبر الطريق الأسفلتي، وتطأ قدمي التراب لأصـل إلـى بدايـة سفح المقطم، فأنـا أسكن فـي المقطم إن كنت لا تعلم.

أتقدم بضع خطوات، وأقف على الحافة ليلفحني الهواء.

لا بد أن القدماء كانوا يعرفون أهمية ذلك الجبل، لكن …

ما هذا؟!

أدقق النظر إلى أسفل فأجد كومة من الذباب، يلتف ويحتشد حول جسد ما صغير، على ما يبدو لي أنها جثة حمل صغير أو شيء يشبه هذا.

لا أعلم ما الذي جعلني أجلس على مقدمة السفح، واضعًا قدمي على الأرض التالية وأقفز إلى السطح الذي يليها حتى أصل إلى ذلك الجسد، أدنو منه أكثر فيتكاثر الذباب ويتكاثر الأزيز والطنين، أهشه بيدي هشًّا، فيتفرق، لكن سرعان ما يجتمع مرة أخرى صانعًا كومة من السواد فوق الجسد.

أجثو على ركبتي؛ لأتفقده.. إنه جثمان طفل صغير، رأسـه مهشم تمامًا.. الجثة طازجة والدم لم يتخثر كله بعد.

هنا أجد النور.

الكثير من الكشافـات تسلط إلى عيني لتعميني، إنها سيارات بعض الشباب الذين جاءوا ليشموا هواء المقطم.

لم تسعفني قدماي، ولم تتحركا، فقط صرخ أحد الشباب:

- انظروا.. جريمة قتل.. هذا الرجل.. لقد قَتَل الطفل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لنقف عند تلك النقطة تحديدًا وسوف نعود إليها، لكن لا بـد أن أحكي لكم منذ البدايـة تحديدًا منذ وصول (حسن يحيى) ووالديـه إلـى شقتهم الجديدة في منطقتنا، منطقة المقطم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جيران جدد

1

تقف سيارة رينو فرنسية الصنع والبلد أمام البيت المقابل لي (رقم ٦٥) يهبط منهـا رجـل وامرأة وصبي صغير هو ابنهما كما هـو واضـح، الرجـل هـو (يحيى حسن المنوفي) مهندس كمبيوتر يعمل في شركة من شركات القطاع الخاص.. إن أردنـا وصفه فهو فـارع القامة، ليـس بالممتلئ الجسد أو الرفيـع، جسـده باختصار يتناسب مـع طـول قامته، أسمر اللون حليق اللحيـة والشارب، هـادئ الطباع نوعًا، لا يتحدث كثيرًا كما يبدو.. بـدأ حياتـه مهندسًا صغيرًا فـي محل صغير مثله في أحـد المولات فـي مصر الجديدة يُصلح الحاسبات، حتـى علم أن هناك مواقع للتوظيف، وأن هناك سيرة ذاتية لا بـد أن يعدها ويتقدم بها، وهكذا عمل في إحـدى الشركات، وتدرج في الترقيات، حتى صار يتقاضى راتبًا لا بأس بـه أبدًا.. عاش حياته وحيدًا كخرتيت بعد وفاة والديه، هنا جـاء دور الأصدقـاء، عرضـوا عليــه (سمية) فلقيت القبول عنـده، فتزوجهـا زواج صالونات، لقد مر من بوابة الثلاثين منذ عامين تقريبًا لـذا تزوجهـا، لنقل إنــه كان يريد بيتًا وأولادًا لا حبًّا وهيامًا.

أما زوجته فهي مدام (سمية عبد الرحمن) بكالوريوس تربية، ربـة منزل، رشيقة القوام سمراء مثله تمامًا، ربما تكـاد تشبهه.. لا ليس الشبـه الـذي يأتي بعد الزواج، فهي تشبهه حقًّا.

مرت هـي الأخرى مـن بوابـة الثلاثيـن، عرضـوا عليهـا (يحيـى) فوافقت دون مقدمات فهو امرؤ ليس لديه والدان، صحيح أنـه يستأجر شقة إيجار جديـد لكن لديه وظيفة جيدة، هذا يجعله بالنسبة لها عريسًا (لقطة) كما تعلمون، لـذا تزوجته، ووافقت والدتها عليه، وللحق بالنسبة لوالدتها فحتى لو لـم يكن لديـه عمل مستقر لكانـت وافقت عليـه؛ فهـي تعلم أن ابنتهـا قـد فاتهـا قطـار الزواج، وهي كما يقولون (عاديـة) ليست بالجميلة أو الغنية؛ فهي مـن بيئة متوسطة وذات جمال متوسط بدوره، لذا وافقت عليه، أما عن أبيها فقد فـارق الحياة وهي صغيرة، انتظرت أن تتخرج في كلية التربية حتى تعمل في مجال التدريس، هنا نسيت كل شيء عن الزواج والخلفة والأمومة، لقد أفنت عمرها في الدروس الخصوصية وجرس المدرسة والحصص، حتى جاء الوقت الذي دق فيه جرس حياتها، وتذكرت فيه كل شيء، لكن الوقت كـان قد فـات، لذا عندما أملى هو شرطه قائلًا: - لا أريد لزوجتي أن تعمل.

قالتها بفم صاغر، لم يستطع أن ينطق غيرها:

- كما تحب.

وهكذا تزوجا.

أما عن ابنهما الصبي الصغير (حسن) الذي سماه (يحيى) على اسم جده (حسن)، فهو يتجاوز عمره السادسة وبعض الأشهر التي تفصله عن عامه السابع، أسمر مثل والديه يمتلك من النشاط والحيوية ما يجعله يركض الأربعة والعشرون ساعة دون تعب أو نوم أو حتى طعام.

جاء إلى الدنيا بعد عامين من الزواج، ظن فيهما الكثير أن الزوجين لن ينجبا وأنهما سوف يكملان حياتهما فردين بلا أنيس، لكن الله قدر ذلك وجاء ذلك الشيطان الصغير.

يتجه (يحيى) إلى حقيبة السيارة، يفتحها ويخرج الكثير من الحقائب، يحمل بعضها، وتحمل البعض الآخر زوجته..

تحمل (سمية) الحقيبة وهي تضع يدها اليسرى على (حسن) الذي يحاول جاهدًا رفع الحقيبة معها وحملها، لكن دون جدوى، فتربت على كتفه: - إنها ثقيلة يا (حسن) اذهب أنت، وخذ المفاتيح لتفتح لنا باب الشقة.

قالتها له وهي تناوله سلسلة مفاتيح بها مفتاحان متطابقان أحدهما كان نسخة للآخر.

يركض (حسن) كالنفاثة وينهب الدرج نهبًا حتى يصل إلى الطابق السادس من البناية يدس المفتاح في الكالون ويديره مرتين، ويفتح الباب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت رائحة الشقة لا بأس بها أبدًا، لقد ابتاعها (يحيى) منذ شهر تقريبًا وأخذ في تجهيزها يومًا بعد يوم حتى أنهى كل شيء.

صحيح أن الأثاث هو هو الأثاث القديم الخاص بشقتهم القديمة، لكنهم زادوا عليه أنتريهًا وبعض الأشياء البسيطة الأخرى.

أما غرفة النوم فكانت كما هي بحافظة ملابسها القديمة التي سقط أحد أبوابها في يأس رافضًا العودة مرة أخرى كما كان.

كانت الشقة نفسها عبارة عن ثلاث غرف وصالة لا بأس بها، حمام ومطبخ مساحته جيدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يدخل الزوجان الشقة، تضع (سمية) حقيبتها على الأرض لتريح يديها التي التهبت من ثقل الحقيبة، وتنظر إلى زوجها، الذي فعل ذات الفعلة، ووقف يحك كفيه في بعضهما البعض: - الشقة تحتاج إلى إضاءة أكثر من ذلك.. ما زالت الإضاءة غير كافية خاصة مع ألوان الحائط القاتمة.

قالتها (سمية) إلى (يحيى) الذي أضاف بعد أن ذهب ليتأكد مـن إضاءة كافة الأنوار:

- لقد تأكدت المرة الماضية مـن أن المصابيح كانت كافية.. ربما لأننا كنا نهارًا، والآن المغرب على وشك الدخول.

تلقي (سمية) جسدها على الفراش وهي تقول:

- أخيرًا شقة تمليـك.. لا إيجـار لا صـاحب شقة يطالبك بالأجـرة أو بغلق المياه، أو أي شيء يعكر عليك حياتك.

- الحمد لله.. لقد كان رجلًا في غاية اللطف.. تخيلت للحظة أنه نصاب.

- لكن الحمد لله خيب الله ظنك.

- الحمد لله.

دخل (حسن) عليهما، وهو يضيف:

- أمي.. إن المنظر من الشرفة رائع والهواء شديد.

قالها وجر (سمية) من ثوبها كي تذهب معه وترى ما رآه.

وصـلا إلى الشرفـة، ووصل معهما (يحيى) الـذي أضـاف وهـو يشير إلـى الشارع المقابل: - هناك في نهاية الطريـق عيادة الدكتور (سنوسي) وفـي منتصف الشارع مستشفى أمراض نفسيـة وعصبية خـاص، هـو للدكتور (طاهر خميس) هـو مستشفى خاص يدخله المرضى بمقابل مادي.

وهـذا هـو سفح جبـل المقطم كما ترون.. تحفة فنية، سـوف نذهب إليه حتمًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

يرتب (يحيى) حقيبته، يضع الأسلاك الصغيرة التي سيستخدمها في عمله بالشركـة على مكتبــه الصغيـر، ويجلس ليستريـح، يـرى زوجتـه قادمـة إليـه فيضيف: - لقد أخـذت هـذه الشقة منا عناءً لا بأس بـه، هذا كله على الرغم من كل تلك التشطيبات التي أجريناها على مدار الشهر.

تدخـل (سمية) حاملة صينية عليها كـوب من الشاي بالنعناع، تزيح الكثير من الأوراق وتضع الصينية مكانها على المكتب: - حقيقة لم أكن أعرف أن الانتقال من شقة إلى شقة أخرى صعب هكذا.

- وأنا كذلك.

- هـل تعتقد أن يتأقلم (حسن) فيهـا بسرعة، خـاصـة المدرسـة الجديـدة والجيران والأصدقاء وغير ذلك؟

- بكل تأكيد إن شاء الله.

يقولها غير قانع، وهو يمسك كوب الشاي الخاص به ويرشفه ثم يردف:

- أرجو ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأيام التالية كانت هادئة تمامًا فـي حياة العائلة المكونـة مـن ثـلاثـة أفراد قضوها بين استكشاف المنطقة والطرقـات والجيران، ساعات ينظرون من فوق الجبل القديم، وبين غداء في الخارج.

كان أفضل ما في تلك المنطقة بالنسبة لهم هو ذلك الهدوء المحبب للنفس، الـذي يريـح الأعصاب بكل تأكيـد، الجيران كـل في حـالـه، عـدا تلك السيــدة الكبيرة في السن التي تجاوز عمرهـا الستيـن أو أكثر، تقطن فـي الشقة المقابلة (فايزة) أو (الحاجة فايزة) كما يطلقون عليها، من حين إلى آخر تأتي إليهم محملة بشكوى، تلفاز خرب، هاتـف لا يعمل قطعوا حرارتـه أولاد الشياطين، ذات مرة قصدتها في بعض الملح والفلفل والبهارات.

ربما كان الأمر في بدايته عاديًّا لا يؤثر في (سمية) فكما يقولون (الجيران لبعضها)، لكن طلبـات تلك السيدة كانت لا تنتهي، كأنهـا كانت ميتة قبل أن يسكنوا جوارها.

لكن ما أثار غضب (سمية) ليس ما سبق، لكنه ما حدث مع (حسن) ابنها، لقد خرج ليلعب بحذاء الباتيناج أمام الشقتيـن، فالمسافـة لا بـأس بهـا تسمح بذلك، هنا خرجت العجوز لتسبه وتسب أبويـه وأجـداده كذلك، فهو شيطـان هارب من سقر جاء ليقلق منامها.

هنا جـر (حسن) أذيالـه وخلع حذاءه ووضعه تحت إبطيه، ودخـل إلـى شقته وهـو يبكي، سألته (سمية) فأجابهـا أن السيدة التي تتسول منا الطعام قد نهرته، ومنعته من اللعب أمام شقته.

وقتهـا لـم تتمالك (سمية) نفسهـا، فخرجت كالنمرة بعد أن شمرت عـن ذراعيها، وذهبت لتلك العجوز.

دقت الباب عدة دقات متتالية، فخرجت العجوز متهللة من زيارة (سمية)، لكن سرعـان ما علمت سبب الزيـارة مـن وجـه (سمية) التـي لـم تنتظر أكثر من ذلك: - اسمعي أيتها السيدة.. لقد تحملت طلباتك وعلى استعداد أن أتحمل أكثر من هذا وأكثر فأنت كوالدتي، وكما يقولون (الجيران لبعضها) لكن

(حسن) هـذا خط أحمر.. لم يفعل لك شيئًا كي تنهريه، ثـم كيف تمنعينه مـن اللعب أمـام شقته، فالمساحـة كبيرة كما تريـن فلماذا؟! هـل أقلق راحتك فـي نصف ساعة لعب؟

- كيف تتحدثين إليَّ هكذا؟ ثم هل تعايرينني؟

- لـم أعايرك.. لقـد أنهيت كلامـي وكفـى.. (حسن) يفعل ما يحلو لـه.. (حسن) خط أحمر.

هكذا قالت ما قالت وأفرغت ذخيرتهـا فـي وجـه العجـوز، وتركتهـا مبللة لا تلوي على شيء.

أغلقت بابها عليها وهي تسب (سمية) وابنها (حسن) وزوجها الذي لم يربي ابنه أو حتى يؤدب زوجته.

أما (سمية) فدخلت وأغلقت الباب وجلست خلفه تبكـي كالأطفال وهـي تحتضن ابنها الذي غاص في صدرها ونام.

حملته حملًا ودلفت به إلى غرفة النوم، وضعته على الفراش ودخلت لتكمل عمل الغداء.. تنظر في الساعة لتجدها السادسة مساءً.

(يحيى) على وشك المجيء، هذا إن جـاء مـن الأساس فهو دائمًا ما يغيب عنهما ويمكث في عمله كثيرًا، لكنها تعلم أنه عندما يأتي فهو يأتي جائعًا؛ لذا تدخل المطبخ لتكمل عمل الغداء له.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(رباب)

1

تجلس (رباب) في شرفتها تأكل حبات العنب وتستمع إلـى (العندليب) وهو يغني: « قولي حاجة.. أي حاجة.. أي حاجة.. قولي حاجة ».

تمصمص شفتيها وهي تتذكر الأيام الخوالي مع (هيثم) عندما كان يزحف خلفهـا كي تنظر إليـه، يقف تحت شرفتها بالساعـات كـي تطل منهـا ويراهـا، تتذكر تلك الأماكن التي زاراها، ذلك الكافيه الذي يطل على كورنيش المعادي، أول قبلة اختلسهـا منهـا، فتمصمص شفتيهـا وتبصق البــذور فـي الهـواء على المارة.

ترمق الطرقات المظلمة والهواء العليل، هنا تدقق النظر أكثر.

هي لا ترى جيدًا، لكن ما لا تخطئه عيناها هو أن هنالك شخصًا قصيرًا للغاية فـي حجم الطفل الصغير أو للأدق الصبـي الصغير، يجر جسدًا كبيرًا مـن قفـاه على الأرض.

ثم يتوقف على سفح الجبل ويلقي به، ثم يقفز خلفه.

هل ما رأته صحيحًا أم أنها تهذي؟!

لم تكن (رباب) وقتها في كـامـل وعيهـا، لقد رأت شيئًا بالنسبة إليها هـو الهول ذاتـه، جريمة قتل كما لفق لها عقلها.. لذا شـل تفكيرها تمامًا، أمسكت بجدار الشرفة، ودخلت وهي ممسكة بطبق العنب ترى (هيثم) وهو يشاهد التلفاز، هناك مباراة لكرة القدم على ما يبدو مهمة.

ابنها (علي) نائم.

تجلس أمام (هيثم):

- لقد رأيت شيئًا.

دون أن يلتفت إليها:

- حسنٌ.. جيد.

- ليس جيدًا.. لقد رأيت شيئًا يبدو لي كجريمة قتل.. ربما خدعتني عيناي، وربما ...

- نعم.. نعم أكيد خدعتك عيناك.

- لا.. لا أعتقد، لقد رأيت شخصًا كالأقزام يجر جسدًا ضخمًا ليس بالقصير أو بالطويل، لكن لـم أتبين شيئًا فـي ذلـك الظلام.. ربما كانت جريمة قتل وأنا شاهدة عليها.

هنا ترك التلفاز، وأمسك الريموت وأخفض الصوت: - هل جننت.. لا تنبس شفتيك بكلمة واحدة.. نحن لسنا فـي حمل سيـن وجيم.. حتى لو كنت صادقة وما رأيته صحيحًا فلا دخل لنا.. غدًا الخبر سيصبح بلا مقابل.. أما اليوم فلا كلمة واحدة.

صمت دقيقة كأنه يقلب حديثه غير قانع: - ما الذي رأيته بالضبط؟

- رأيت قزمًا يجر رجلًا أو جسدًا أو جوالًا - لا أعلم لكن الوضـع كـان مريبًا خاصة في ذلك الظلام - قذف به من فوق التل، وقفز خلفه، لا أعلم لِمَ؟

نهض ودخل إلى الشرفة، لكن لا شيء.. الظلام والهواء وصوت الكلاب.

- هناك.

قالتها (رباب) وهي تشير إلى سفح الجبل.

ينظر إليها، ويقول:

- هل أذهب كي ...

- لا.

- وإن كانت جريمة بالفعل؟

- كما قلت الخبر غدًا سيكون بلا مقابل، ربما كان لصًّا أو سفاحًا ويحمل سلاحًا، ربما أصابك، وأرداك قتيلًا ووضع جثتك إلى جوار الجسد الآخر.

قالت ما قالت، فارتعدت فرائصه، فكلامها صحيح.

لذا دلف إلى الغرفة وأغلق الشرفة خلفه، جلس أمام الشاشة، وأعاد الصوت وأكمل مشاهدة المباراة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخديم

1

الآن تعالوا معي لنر تلك القصة منذ البداية.. إنها قصة عم (حامد الفقي)..

تعالوا معي، لا تخافوا.. نعم إن مظهره وشكله يشي بأنك ترى إبليسًا يمشي على قدميه.. لـك كـل الحق، فهـو كذلك بحق.. كيف ستعلم؟.. عندما نشاهد قصته منذ البداية.

الآن نراه يمسك حقيبته القماش، وينطلق بالسيارة المتهالكـة بعيدًا عـن المدينة، تحديدًا في منطقة المقطم..

إنه الآن وحده تمامًا.. ينظر في ساعة يده فيتأكد أنه وحده، فالساعة الآن الثانية صباحًا، لا أحد يصعد فـوق المقطم فـي تلك الساعة خـاصـة فـي ذلـك الظلام، وذلك الجو البارد.

كان يحمل معه مرآة إطارها من خشب الأبنوس، يأخذه في يده بينما يتمتم بتعويذة تخرج من بين شفتين تصطكان من فرط البرودة، يخرج موقدًا صغيرًا ويشعله؛ كي يقلل من برودة الجو.. هذا شـيء، الشيء الآخر الـذي سيستفيد منه هـو إشعال البخور الـذي تصاعـدت رائحته ودخانـه على الفور، هـذه ليلة قمريـة كما هو واضح.. فعليه أن يخرج في ليلة قمرية بعيدًا عن الزحام وعند منتصف الليل.

بعد أن انتهـى، رَسَـمَ بقلـم دائـرة كبيرة، ونقش بداخلهـا بعض الأشكـال والطلاسم التي قد قرأها سابقًا في كتبه وجلس ينتظر.

الليل يضفي على ما يفعله الكثير من الهيبة كما تعلمون.. ينظر فـي المرآة، ويتلفت حوله كي يرى إن كان أحد يراقبه أو يراه فلا يجد، فيجلس كـي يكمل ما يفعله، ينظر في كتاب قد جلبه معه كي لا ينسى ما يفعل، أو ليغش منه باقي تعويذته وطلاسمه، ثم يرسم بالبخور أشياء في الهواء، ثم يُخرج قطعة قماش ملوثة بالدماء يضعها داخل الدائرة، ويبدأ في تلاوة تعويذته..

العرق يتصبب منه، ويرتعد، لكنه يقسو على نفسه ويكمل التلاوة.. جسده ينتفض بشدة، ثم يُغشى عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

عجوز وحيدة

1

تسعل بشدة فتضم معطفها؛ الدخان شديد، لكنها تحب الدجاج المشوي، صدرها لا يحتمل كل تلك الكمية من الدخان، لكنها لا تحب أكل الشارع، الحاتي لا يجيد عمله، وإن أجاده فهو غير نظيف بكل تأكيد، وإن كان نظيفًا فمن يعمل معه غير نظيف؛ لذا تصنع هي دجاجتها بنفسها، تعد التتبيلة كما اتفق، تجهز الفحم، بعد أن تسعل مائة مرة أو يزيد، تعطي الفحم الهواء اللازم من مروحة متهالكة، ثم تكمل بمروحة من الريش، تعد الأسياخ التي غسلتها مائة مرة، ثم تغرس اللحم الأبيض هنيهة هنيهة داخل الأسياخ.

تترك المكان وتذهب كي تفتح النافذة، الهواء الجديد يدخل، والهواء القديم المحمل بالدخان يجد طريقه للخروج.

تضع السيخ الأول على الفحم وهي تنظر إلى مشهد اللحم وهو يذوب ملتاعًا وتتذكر كيف كانت العائلة تجتمع على تلك الوليمة يومًا ما..

اسمها (فايزة) أو (الحاجة فايزة) كما يطلق عليها سكان المنطقة بأثرها، كانت منذ زمن سحيق شابة جميلة تعمل في الإذاعة، أحبها رجل من العاملين وتزوجها، وصارت أمًّا بعد ذلك لطفلين صارا رجلين، تخرَّج أحدهما في كلية الهندسة، والآخر تطوع في الجيش ومات بعدها في مناورة حربية من تلك المناورات، كان يجتمع ثلاثتهم حول المائدة ينظرون في صور الموتى، حتى جاء اليوم الموعود وشاهدوا جثة الابن الأصغر (سامح) على التلفاز تلك الصورة التي أخذها له أخوه الأكبر، كان عزاءً كبيرًا في المنطقة..

بعد ذلك بسنوات تزوج ابنها الأكبر، وبدأ حياته، سافر كما أمره عمله ولم يعد إلا بعد أن علم أن أباه قد فارق الدنيا وأصبحت أمه بمفردها، هنا عاد كي يعمل (الواجب) جلس إلى جوارها شهرًا، ثم عاد إلى عمله في الخارج، بعد أن وعدها بالعودة في أسرع وقت، لكنه لم يفعل، كان يسأل عنها كل يوم، ثم صار كل أسبوع، ثم كل شهر، ثم كل عام، ثم ذهب صوته ولم يعد.

في البداية جلست تنتحب، ثم اعتادت الأمر، ودعت له بالهداية، وتركت الأمر برمته.

تذكُر كل هذا، وتفر من عينيها دمعة، وتشعر بوخز السيخ في كفها، لقد اخترقت السن كف يدها.. ترمي السيخ على الأرض بعد أن تتأوه، وتهرع إلى

الحمام، تضع كفهـا أسفل الماء ليذهب الدم، تربطه بخرقة من القماش، ثم تذهب لتكمل الطعام، تبحث عن السيخ فلا تجده..

هذا غريب!

تبحث هنا وهناك لكن لا شيء..

إن ذاكرتها ليست متهالكة لتلك الدرجة، هي تعلم أنها ألقت به على الأرض منذ قليل، لذا تجثو بركبتها على الأرض لتبحث عنه أسفل المنضدة، لكنها تصرخ كالمجنونة مما رأت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تصرخ بأعلى طبقة من حنجرتها، لكن تصمت فجأة لأن السيخ الذي كانت ممسكة بـه منذ قليل دخل إلـى فمها مخترقًـا كـل شـيء مـارًّا بحنجرتها إلـى أمعائها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جريمة في الحي الهادئ

1

ضجيج عربات الشرطة وسيارة الإسعاف أقلقني من منامي، نهضت بمنامتي، وخرجت إلى الشرفة حيث ذلك الضجيج، فوجدت حشدًا من الناس يقف يتفقد الأحداث مثلي، وهم كثيرون، وبعضهم يعمل ما طُلِبَ منه، محفة تحمل جسدًا باهتًا عندي، من بُعد المسافة بالطبع، لكنه قتيل كما هو جلي، رجال الشرطة في كل مكان، الشريط المانع للمرور صار في كل مكان، ورغم ذلك يلتف الجميع حوله، كي يرووا فضولهم مثلي.

أدخل إلى غرفة نومي، وأغلق الشرفة وأحاول العودة إلى النوم، لكن هذه المرة جرس الباب يدق بإلحاح!

أنهض مرة أخرى، وأفتحه لأجد (هيثم السلحدار) يقف يرتعد أمامي، يدخل دون إذن ويجلس على الأريكة وهو لا يزال مرتعدًا: - هل علمت ما حدث؟

جلست على كرسي مقابل، وأنا أفرك عيني كي أُذهب النوم عنهما: - لم أعلم، لكني رأيت الآن الشرطة والإسعاف و ...

- نعم، نعم.

قالها ثم صمت وأضاف:

- لقد ماتت السيدة العجوز التي تعيش في المنزل المجاور لنا (الحاجة فايزة).

- (الحاجة فايزة)؟

- نعم.. لقد وجدوا جثتها اليوم ملقاة عند سفح الجبل، قتلها أحدهم ثم ألقى بها من فوقه.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

قلتها، ثم أردفت:

- لكن لماذا ترتعد أنت؟

نظر إليَّ وهو يضيف وكادت الدموع تنهمر من عينيه: - لأن (رباب) رأت كل شيء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

الآن أنتم ترون ذلك الشاب الذي يدخن بشراهة كأنه قطار قديم ينفث الدخان من منخاره، ويقلب الأوراق..

يطلق سبة ثم يقلب الأوراق..

ينظر إلى صديقه الذي جلس إلى جواره وهو يضيف: - جريمة معقدة.. لا شيء مسروق.. إذن لا دافـع.. مقطوعة من شجرة.. إذن لا إرث.. لا بوليصة تأمين.. إذن لا دافع.

- لا تقلق يا (عمر) أعلم أن الأمر يبدو صعبًا وهكذا هو في كل مرة.. وفي النهاية ينحل كل شيء.. عقدة.. ثم عقدة، ثم ينحل كل شىء.

- لكن هذه المرة يبدو الأمر عسيرًا.. أنت لا تفهم شيئًا.. هذه المرة شيء آخر.

- يمكن أن يكون الأمر صعبًا في إحدى المرات، لكنه ليس مستحيلًا.

نهض (عمر) وهو يدس ثمالة اللفافة في المطفأة وهو يتمتم دون أن يرفع صوته: - أنت لا تعرف شيئًا..

قالها ثم زاد من نبرة صوته كي يسمع صديقه: - تقرير الطب الشرعي، لم يفعل شيئًا.. لم يفصح عن شيء، بل زاد الأمور تعقيدًا.. آثار البصمات التي وُجدت على السيخ الذي اخترق حنجرة العجوز كانت آثار يد طفل صغير.

صمت برهة ثم نظر إلى صديقه:

- كيف يكون طفلًا صغيرًا؟!

مرة أخرى يصمت، ثم يقول:

- كيف يجر كـل ذلـك الحِمْل وحـده من شقتها إلى سفح الجبل، ثم يلقي بها من فوقه؟!

للمرة الثالثة يصمت، لكن هذه المرة ينظر إلى صديقه ويضيف متسائلًا: - هل لك أن تقول لي كيف هذا؟

نظر إليه صديقه في ذهول ثم أضاف مكررًا:

- طفل؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

- رأت كل شيء.

- نعم.. لقد كانت واقفة فـي الشرفـة، عندها رأت الجريمة، ليس كلهـا بالطبع ولكن ما رأته يكفي.

اعتدلت في جلستي على الكرسي، وتثاءبت كأنني أثير غيظه: - حسنٌ، لكن.

- ليس هناك.. لكن أيها الرجل، أقول لك إن زوجتي رأت الفاعل، رأت الجاني!

- إذن فلتذهب إلى الشرطة وتحكي كل شيء.. تحكي ما رأته.

- هل جُننت؟

قالها ونهض ليقف أمامي مباشرة، وهو يضيف: - أنت معتوه كما هـو واضح.. هـل أذهب بيدي كي أقول لها اذهبي إلـى الشرطة وسلمي نفسك هناك.. وقولي لهم إنك رأيت طفلًا يجر مدام (فايزة).. إذن هو القاتل؟!

- طفل؟!

قلتها ثم أمسكته من يديه وأجلسته مرة أخرى على الأريكة، وأنا أضيف: - بالطبع لا، فهذا كلام غير معقول. اجلس فقط سوف نرى ما يجب فعله.

- لن أذهب قلت لك.. لن ...

- مـن قـال لـك إنـك سوف تسلم (رباب) إلـى الشرطـة؟ ومـن قــال لك إنها ستقول إن طفلًا هـو الجاني؟!.. ربما خدعتهـا عيناهـا، وكـان رجـلًا قصير القامة..

- لا أعلم.. هذا هو ما قالته لي، لم أر بنفسي شيئًا.. أنت تعلم أن الظلام يخيم على تلك البقعة من المنطقة.

أضفت وأنا أخرج سيجارة وأشعلها:

- الحقيقة أن حكايـة أن طفلًا أو لنكن دقيقين شخصًا ما قصير القامة فـي حجم طفل يجر مـدام (فايزة) بضخامة حجمها هـذا هـو موضوع ينبغي أن يكون فيه شهود أربعة.

قلتها فهدأ وأردف ولم يفهم دعابتي:

- أقسم إن هذا هو ما رأته.

قالها فأردفت أنا:

- صدقني إن العقل والضمير يقولان إنها رأت جريمة، لذا فلتذهب وتُدْلِي بشهادتها هناك، ربما كان ما سوف تقوله زوجتك هو الخيط الوحيد الذي

سوف تسير خلفه الشرطة لتقبض على القاتل، وإن كنت خائفًا عليها وعلى نفسك فسوف أذهب معكما هناك. أنسيت أنني محامٍ؟!

صمت برهة وأضفت:

- هذا قرارك.. وهذا رأيي.

نهض مرة أخرى، وقال:

- لـم آتِ إليك كي تنصحني بأن أسلم نفسي و(ربـاب) أو لا.. بل جئت إليك كي تطمئنني.. هل عَلَيَّ أنا وهي شيء؟

قلت له وأنا أدس اللفافة في المطفأة الموضوعة على منضدة طويلة بثلاث أقدام ابتعتها أمس، وأتجه إلى المطبخ كي أعد بعض الشاي: - اطمئن ليس عليكما شيء.. فقط هي شهادة أمام الله.

قلتها مؤنبًا وناغزًا ضميرًا نام لديه، فقال وهو ينصرف: - حسنٌ.. شكرًا.

قالها وفتح الباب وانصرف.

أعـددت الشاي، وجلست أشاهد التلفاز وأنا أشربـه، وعـاد كلام (هيثم) يرن في أذني: - طفل هو من قتل الحاجة (فايزة).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عم مؤمن

1

جلس عم (مؤمن) في حانوته بمنطقة المقطم يستمتع بالأخبار التي تنهال على رأسه من شاشة التلفاز المعلق أعلى ثلاجة الجبن والحلاوة واللانشون، مقعد خشبي دقه مائة مرة بمائة مسمار حتى لا يرقص فيطرحه أرضًا كالجوال، بدين يرتدي عباءة، شعره أبيض، يدخن الشيشة، ولا شيء غيرها، ليس لديه زوجة، أو لنقل كان لديه زوجة بالفعل لكنها فارقته، ليس لديه عمل غير ذلك، وليس لديه أولاد كذلك، ذهب في شبابه بعدما تزوجها إلى كثير من الأطباء، لكن الأمل كان ضعيفًا، ثم سار منعدمًا بعد أن كبرت سنه، ثم لم يعد يفكر في الأمر من الأساس.

خرج على المعاش، وفتح ذلك الحانوت الذي تراه بالمكافأة التي أخذها من عمله بعد أن أتم الستين، كان للحانوت نصف وقته يذهب إليه بالنهار ليبيع للأطفال ولأولياء الأمور الفطور، يجلس فيه حتى ينتصف النهار ثم يعود إلى (نعيمة) زوجته.

صار على تلك الحالة لأعوام، حتى جاء يوم لم تنهض فيه (نعيمة).. كان معتادًا على نهوضها قبله كي تعد له الشاي قبل أن يودعها ليذهب إلى حانوته، وفي ذلك اليوم نهض هو قبلها، لم يحاول إيقاظها، وخرج على أطراف أصابعه التي دبت في الأقدام التي تحملها تلك العروق المنتفخة الزرقاء معلنة عن حالة متأخرة من دوالي الساقين.

ذهب وقضى النهار كما يقضي وكما اعتاد، وعندما عاد وجدها على ذات الحالة، نائمة، وضع ما كان يحمل على المنضدة وذهب كي يرى ما بها، ربما علم بما حدث قبل أن يصل إلى جسدها المسجى على الفراش بلا حراك، دقات قلبه كانت متصارعة، حتى زال الشك باليقين، هزها مرتين ثم جلس يبكي بعدما علم أنه صار وحيدًا.

بعدها صار لا يعود إلى البيت تقريبًا، الحانوت ولا شيء غيره.

حتى جاء ذلك اليوم، جاءه طفل يريد شراء بعض الجبن والحليب.

دلف إلى الثلاجة التي تحوي الحليب، وعبأ له ما يريد، أعطاه إياه وأخذ يقطع له الجبن بالسكين الكبير، لكن الطفل انصرف شاكرًا دون أن يأخذ الباقي من المال الذي دفعه إليه أو حتى الجبن.

وضع ريموت التلفاز الذي لصقه من الخلف كي لا تسقط البطاريات ويضطر إلى الانحناء كي يبحث عنها أسفل الثلاجة والكراتين الموضوعة، وذهب خلف

الطفل الملسوع، خرج من حانوته وهو يسب الأطفال بأكملهم، إن هذا الصبي سوف يجعله يترك حانوته ويركض خلفه كي يعطيه الباقي من النقود والجبن الذي دفع ثمنه.

نظر إلى الصبي فرآه قـد صار بعيدًا، لذا قرر أن يعود إلى حانوته، ولينتظر الصبي حتى تنهره أمه ووقتها سيعود إليه.. لكنه رأى شيئًا غريبًا!

رأى فتى آخر يركض خلف الصبي بسرعة، ثم اختفى في الظلام!

هنا قرر أن يترك حانوته ويذهب ليرى ما سيحدث.. إذن هي معركة أطفال سوف يمزق أحدهما قميص الآخر، وربما أهرق اللبن الذي باعه إياه وربما ...

هنا رأى الصبي يخرج من مكانه في الظلام ويقف أمامه كأنه شبح!

تسمر الصبي في مكانه كأنه يريد عم (مؤمن) ذاته.

دنا عـم (مؤمن) من الفتى، حتى تبين ملامحه، كـاد أن يقول شيئًا، لكن الفتى منعه بأن قال:

- عمو..

نظر عم (مؤمن) إلى الصبي ولم ينبس ببنت شفة، لأن الصبي أضاف:

- عد إلى حانوتك ولا تخرج منه اليوم أبدًا إن أردت ألا تخرج منه إلى يوم الدين!

لم يفهم (عم مؤمن) الرسالة التي قالها الصبي، لكنه وقف يرمق الصبي، لكن لا يعلم لِمَ ارتعدت قدماه وصارت كالمكرونة المسلوقة، حتى صوته ذهب عنه وحـل محله رجفة ورعشة سـرت في قفاه حتى اخترقت أحباله الصوتية، لكنه تحامـل على نفسه وكـاد مرة أخرى أن يقول شيئًا، لكن الصبـي كـان قـد اختفى من أمامه تمامًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عندما تمالك (مؤمن) أعصابه سـار مرة أخرى إلى حيث الصبي ببطء، وأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا كأنه لص.. الظلام في المنطقة أكثر مـن النور، الكلاب تنبح وتفر خلف بعضها البعض، هنا رأى صندوق القمامة وبعض الكلاب تلتف حـول جسد مكوم في الأرض بالقرب من صندوق القمامة العمومي!

وفـي الأرض رأى السائل الأبيض يسري على الأرض ويختلط بكل ما يمر في طريقه، إنه يعرف أن هذا حليب بلا شك، ويعرف من هو الذي ابتاعه منه!

دنا أكثر وهو ما زال يتلفت حول نفسه، هنا شاهد الجسد عن قرب، بالفعل إنه ذلك الطفل الذي ابتاع منه الحليب منذ قليل!

شهق، وأخذ يرتعد، بسمل وحوقل، وجلس إلـى جـوار الجثمان الذي تأكد أنه فارق الحياة، وأخذ يتمتم بآيات من القرآن الكريم، ثم فرت منه دمعة رغمًا عنه، ونهض مغادرًا.. هنا رآه!

وجد الصبي الذي وقف معه منذ قليل ليحذره، وجده يقف أمامه ويبتسم ابتسامة شيطانية لا روح فيها، نظر إلى الفتى وإلى يديـه فوجد سكينًا يعرفـه جيدًا.. سكينًا كـان منذ نصف ساعة تقريبًا يقطع بـه الجبن، الـذي لـم يأخذه الطفل المسكين، كـاد أن يغمى عليـه، لكن الصبي باغته بنصل السكين وهـو يمرره بسرعة على عنقه ليذبحه.

كـان (عـم مؤمـن) مشدوهًا مما يحدث، فقط وضع يديه على نحره الذي شُق نصفين كي يحبس الدماء، ثم سقط كالجوال يتشحط في دمائه، ويرتجف كالذبيحة.

نظر الصبي إلى الجسد المتشنج حتى همدت حركته إلى الأبـد، ثـم غادر المكان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جريمة أخرى

1

عدت من البنك الذي يتوسط شارع ٩ في منطقتنا بالمقطم، وأنا أضع رزمة لا بأس بها من النقود في حقيبتي الجلدية الصغيرة، عرجـت على محال لبيع البدل، وابتعت بدلة جديدة منه، ثم عرجت على عم (شوقي) صاحب حاتي الياسمين.. غريب هو اسم حاتي الياسمين، فهو اسم لا يدل على أنه يبيع لحم الضأن أو الكفتة البتلو والسجق، بـل يوحي بأنـه يبيع الزهـور والورد للأحباء، لكن هذا لا يهمني، فما يهمني هو أنه يقدم لي وجبة طيبة من اللحم والكفتة والطرب اللذيذ، لذا ابتعت منه نصف كيلو مشكل، وعدت إلى شقتي، لأجد الحشد مرة أخرى عند حانوت عم (مؤمن)!

هـذا الرجـل لا بد أنـه لفظ أنفاسه الأخيرة فـي حانوتـه؛ فقد كان كهلًا كبيرًا فـي السن، أنتم تعلمون ذلـك، فقد تركته زوجته ورحلت عنه دون أن تراعي أنه سيكون وحيدًا، وللأسف كـان عقيمًا ولم ينجب، لـذا فقد مات وربما شم رائحته أحدهم فأبلغ الشرطة، وهكذا هي كل الحكاية، لكنني كنت مغفلًا كما هو جلي.

تقدمت بضع خطـوات، ووقفت كـي أروي فضولـي، ورائحة الشـواء تفوح من الكيس الأبيض الذي أتمسك به بكلتا يديَّ، فوجـدت الشرطـة منتشرة فـي دائرة الحانوت، وبعض رجال النيابة العامة الذين أعرفهم جيدًا.. بضع خطوات أخرى لا تضر.

هنا رأيت الحانوت مفتوحًا، وداخله بعض رجال الشرطة، سألت أمين الشرطة الواقف في فضول، فأضاف بعد أن نظر إليَّ وملأتُ عينيه:

- جريمتا قتل.

- عم (مؤمن) قُتل؟

- نعم هو ذا.. هل تعرفه؟

- نعم أعرفه، فكل المنطقة تعرف الرجل، وأنا أقطن في تلك الناحية، كلنا يبتاع منه ليلًا، كأنه لا يفتح إلا ليلًا.

قلتها وهممت بالانصراف، لولا أنني تذكرت شيئًا فعدت مرة أخرى، وسألت الرجل:

- اعذرني أيها الأمين، ومن صاحب الجثة الثانية؟

قال الرجل وهو يصرخ في طفل يركض ناحية الحانوت ففر الولد بعد أن أخذ ذيله بين فخذيه وهرب بعيدًا وهو يسب الشرطي:

- طفل من هؤلاء العفاريت.

- طفل؟!

قلتها، ثم أخذت بعضي وعدت إلى البيت.

فـي الحقيقة كان الأمر برمته لا يعنيني، لكنني متفرغ كما تعلمون، لـذا أفرغت اللفافة، والورق ليفصح عن ثروتي الصغيرة من الكفتة والطرب، وشرعت آكل، لكنني توقفت، لأن جرس الباب دق بإلحاح!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

كـان يقف يرتعد كما هي عادتـه، إنـه (هيثم السلحدار)، ما إن فتحت له حتى دلف إلى شقتي وأغلق الباب وهو يقول:

- هل سمعت ما حدث؟

جلس بكل هدوء على المائدة الصغيرة المكونة من مقعدين، وبكل أمانة هي ليست مائدة فهي منضدة صغيرة، واشتريت لها مقعدين، فصارت مائدة، وأخذت ألوك قطعة من الكفتة، وأنا أهز رأسي أن نعم رأيت ما حدث.

نهض متوترًا، وجلس أمامي على المقعد المقابل، وأضاف:

- لا بد أنه نفس الجاني.. بكل تأكيد هو.

أضفت بفم ممتلئ:

- وما الذي يجعلك متأكدًا لهذا الحد؟ هل أنت شريكه؟

قلتها مازحًا، فلم يُعْنَ لمزحتي وأضاف:

- لا بد أنه هو.. حدسي لا يكذب أبدًا.

- إذن اذهـب وقـل لرجـال الشرطـة هـذا الكلام، احكِ لهم ما رأيته أنـت و(رباب).

نظر إليَّ، ولم يتمالك أعصابه هذه المرة، فنهض ضاربًا سطح المائدة بكلتا يديه، وهو يسبني في عصبية ويضيف:

- كم مرة قلت لـك إنني لـن أذهـب إلى القسم، هل أنا وزوجتي (وش) أقسام؟ ثـم إنني لـن أُوحل نفسي و(رباب) في سلسلة جرائم يفعلها شخص

مجنون، ربما اتهموننا بأننا على علاقة به.

- إذن فلتعــد إلـى بيتك ولتغلقه عليكما ولا تتحدثــا إلـى أي أحــد، وقــل لـ (رباب) أن تغلق فمها، فأنا أعرف السيدات جيدًا، إن لم يجدن ما يتحدثن فيه يكذبن، فالمهم هـو أن يتحدثن ويثرثرن.. رباه نحن لـن نفهم النساء أبدًا كما يقولون.. هل تعرف لِمَ يا (هيثم)؟

- لِمَ؟

- لأننا لسنا نساء.. هاااهاااهوهو.

كـان هـذا كافيًا كي يصفعني على وجهي أو يحطم المزهرية على رأسي، لكنه اكتفى بأن كتم دموعه وغيظه، وأضاف:

- اطمئن.. (رباب) ليست من هؤلاء النسوة.

- أرجو أن تطمئن أنت.

قلتها، ثم نهض وهو يسبني، وبعد أن تناول علبة سجائري ودسها في جيوب معطفه جزاءً وفاقًا على ما حدث معه، وربما أنا أستحق هذا بالفعل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

جلس (هيثم) في شقته، وهو ينظر إلى (عليٍّ) ابنه، الذي أخـذ يتواثب على الفراش كضفدع، وهو يصرخ بكلمات من أغنية للأطفال لا يفهم معناها من الأساس، بولا بولا باللاالمبولا بوالا بولا بالالالامبيلا.. اسقيني يا ماما حمار.. اسقيني يا ماما حمار بولااللا بوالالا بلالالم بولا.

هنا لم يحتمل (هيثم) كل هذا الضغط على أعصابه، فبكى كالنسوة، وهو ينظر إلى (عليٍّ) الذي لم يَعْنِ له بكاء أبيه شيئًا.

دلفت (ربـاب) وهـي تحمل بعض الفـول فـي صحن، وفـي الصحن الآخر بعض أقراص الفلافل التي بردها الهواء، لكنها ما زالت تحمل بعض الدفء، الذي يجعلها صالحة للأكل، فرأت حالة زوجهـا، فربتت على كتفه، ووضعت الأكـل على الفراش، أخذ (عليّ) يقفز فوق الفراش غير عابئ بالأكل الذي تم وضعه على الفراش، فصرخت فيه (ربــاب) وصفعته على ظهره، فهرب مـن الغرفـة بعد أن وثب مترين في الهواء كـي يتفادى (شبشبًا) صوبته نحوه بيـد خبير، وفر هاربًا من الغرفة.

- ما بك؟ كيف تبكي أمام (عليّ) هكذا؟

- لقد وجدوا جثتين أخريين في المنطقة!

- ماذا؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قالتها وجلست على طرف الفراش، ووضعت يدها على صدرها، فكرت دقيقة، ثم وضعت يدها على ركبته مهدئة:

- وماذا يعنينا نحن؟.. لسنا محل شبهة.

- لكنك رأيت الجريمة يا (رباب).

- ولو.. لسنا متهمين بشيء.

- لكن.. (إبراهيم) يقول لي إنه يجب الذهاب إلى القسم ويجب أن تدلي أنت بما رأيت.

- لم أر شيئًا.

قالتها وهي ترفع يدها من فوق ركبته، فنظر إليها نظرة ذات معنى، فأضافت هي:

- لم يرني أحد وأنا أرى الجريمة، وإن رآني أحد فليذهب هو ويُدْلِ بما يعرفه وبما رآه.

قالتها، فابتسم هو، فأردفت:

- لن نخبر أحدًا بذلك، ولنعش حياتنا كما كانت، ولتزدد الجثث.. سيأتي يوم تقبض فيه الشرطة على القاتل، لن يستفيدوا شيئًا إن ذهبت، فقط سنوجه الأنظار ناحيتنا، وربما اتهموني بأنني الفاعلة.

- هذا لن يحدث، لكنه (عين العقل) كما قلت: نحن لم نر شيئًا.

صمت برهة، ثم تذكر كلام صديقه المحامي وأضاف:

- المهم أنك لم ولن تخبري أحدًا؟

صمت ثم أردف بصوت خفيض:

- مهما كان؟

نظرت إليه وابتسمت بركن فمها، وهي تضيف:

- نعم.. بكل تأكيد.. لن أفعل.

قالتها ودقـات قلبهـا توشك على أن تفضحها، سرحت لبرهة تذكرت فيهـا ما حـدث عند صديقتها الجديدة، التي انتقلت حديثًا منذ أيـام، حديثة العهد بالمنطقة.. إنها (سمية).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4

مرة أخرى نرى فيهـا الضابـط الوسيم حليق الذقـن (عمر)، يجلس خلف مكتبه وهو يبعثر الأوراق على مكتبه هنا وهناك..

يدق الجرس، فيدخل الأمين، يطلب منه أن يأمر (مرعي) في البوفيه أن يعد له فنجانًا من القهوة الثقيلة، بلا سكر، فيذهب الأمين ويفعل ما أمره به.

يجلس هو ويلملم أوراقه، ويقرأ مرة أخرى تقرير الطبيب الشرعي المكتوب بخط اليد، والذي مرر على بعض النقاط فيه قلمًا فسفوريًّا كي يضيئها له، فهي نقاط مهمة كما هو واضح بالنسبة له:

« وبعد تجريد جثة العجوز، الذي يدعى (مؤمن محمد محروس والي) من الثياب لتشريحها، تبين وجود:

- جـرح قطعي غائر بمنطقة الرقبة (النحر) تـم عمله بسكين مـن الحجم الكبير، وبأخذ عينة من مكان الذبح، تبين وجود بعض ذرات الجبن والحلاوة، مما يدل على أن السكين هو بالفعل السكين الذي كان يستخدمه المجني عليه في حانوته.

- لـم توجد أية آثـار للمقاومة من المجني عليه بيـن أظفاره أو حتـى على ثيابه مما يدل على سرعة المباغتة، فلم يتبين لنا بتحليل عينة من دم المجني عليه المذكور اسمه أعلاه أنه قد كان يتعاطى أية أنواع من المخدر أو أن دماءه حوت ذلك، مما يدل على أنه كان في كامل قواه ».

ترك التقرير ووضعه أمامـه بعد أن دق البـاب، ودلـف الرجـل ومعه فنجان القهوة المطلوب، وضعه على المكتب، وانصرف.. أمسك بالفنجان وشرب منه مرتين، ثم وضعه وأكمل النقطة التي مرر قلمه الفسفوري عليها:

« - بعد أن تم رفع البصمات تبين لنا وجود آثار كف طفل صغير على مقبض السكين، مما يدل على أن مرتكب الفعل طفل صغير في السادسة من عمره.

- هذا وسيتم إعـادة رفـع البصمات مرة أخرى للتأكد مـن ذلـك، لاستحالة الحدوث ».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يدخـل صديقه (أيمن) عليـه، فيجــده منهمكًا فـي قراءة الأوراق، يجلس أمامه ويمسك بفنجان القهوة ويرشف منه القليل، فيبصق ما شربه على الأرض، ويمسح فمه بمنديل ورقي:

- ما هذا الذي تشربه؟!.. بدون سكر ومُرَّة جدًّا.

دون أن يرد عليه أضاف وهو ما زال ممسكًا الأوراق:

- هل قرأت التقرير الخاص بالطب الشرعي؟

وضع (أيمن) المنديل على المكتب، وأضاف:

- نعم قرأته.. الغريب أنه يقول إن الفاعل طفل صغير، لكن هذا فيه استحالة كما تعلم.. مَـنْ ذلـك الطفل الذي سيذهب ويُمسك سكينًا أو لنكن دقيقين، يسرق سكينًا، ثم يذهب خلف الرجل ليذبحه بذلك الشكل دون مقاومة من الرجل؟.. ثـم الجريمة الأخرى التـي ارتكبهـا، هشـم رأس الفـتى بحجر ثقيـل، لا يستطيع صاحـب ذلـك السن المذكور فـي التقرير رفعه إلا بصعوبـة بالغة، فكيف سيرفعه، ويهشم به رأس الطفل بتلك الكيفية، دون عناء أو دون مقاومة من المجني عليه الصغير هو الآخر.

- هذا هو المحير في كل هذا.. ألم أقـل لـك إن تلك المرة معقدة.. معقدة جدًّا.

هذه المرة رفع (أيمن) الفنجان ورشف منه دون أن يبصق، وأضـاف وهـو يلوك البن:

- لا أخفي عليك شعوري يا (عمر) فأنا أخشى ألا تكون الجريمة الأخيرة.

قالهـا وهـو يعيد الفنجـان إلـى سطح المكتب، ويردف، وهـو يشير إلـى الفنجان:

- اطلب لي فنجانًا من القهوة مثل هذا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(ما حدث)

1

أمسكت (ربـاب) ابنهـا (عليّ) من معصمه، وباليـد الأخرى أمسكته من أذنيه التي صارت كالطماطم، وأخذت تنهره على لا شيء، حتى وصلت للنقطة التي تريدها منه، وافتعلت كل ذلك الصراخ لأجلها، فخفضت من صوتها وهي تقول: - أقسم لك إنك إن فعلت وقلت لأبيك عما حدث، فسوف أضع رأسك أسفل خفي المتسخ هذا، وأرني كيف ستفر.

أشـار (عليٌّ) برأسه بأنه لن يفعل وأنه يفهم ما تقوله له جيدًا، لكنه أضاف غير فاهم: - حسنٌ.. ما هذا الذي حـدث والـذي تودیـن مني ألا أحكيـه لأبـي؟ هـل تقصديـن ذهابنا إلـى ذلك السوبر ماركت؟ أم لأننـا ابتعنا كيلـو البطاطـس مـن عم (عبده) الذي لا يطيقه أبي.

صرخت مرة أخرى، وصفعته على مؤخرة رأسه، وأردفت: - لا هـذا ولا ذاك، بل لا أريـدك أن تخبره أننا ذهبنا إلـى أبلة (سمية).. هل فهمت؟

- نعم فهمت.. سوف أقول له الآن إننا لم نذهب إلى أبلة (سمية).

صفعت خدها بكفها، وهي تسب العالم بأثره، وقالت له: - لم أقل ذلك يا مغفل، بل إن سألك هو أو ...

هنا تَذَكَّرت مع من تتحدث فأضافت:

- لا تفتح فمك وكفى، وإلا أخبرته بما حدث منك هناك أيها اللص.

- لا لا، لن أفتح فمي أبدًا، سأصمت إلى الأبد.

قالها وهو يضع كلتا يديه على فمه مانعًا نفسه من الحديث ومن التنفس.

حررتـه (رباب) مـن يديهـا، وهـي تتذكر ما حـدث وتتمتم وهـي تنظر إليــه وهـو ما زال واضعًا يديــه على فمه حتـى انتفخت أوداجـه وكـاد يموت مختنقًا: - ربنا يستر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

أنـت تعلم أن النساء ينجذب بعضهن لبعض كالمغناطيـس، ليـس حبًّا فـي بعضهن - حاشا لله - ولا كما يبـدو لـك مـن أن هـذه تطمئن على تلك، هـذا آخر اهتمامتهن كما تعلم، لكن لولعهم بالتلصص على حيـاة بعضهن البعض،

كيف حياتها؟ كيف يكون بيتها؟ كيف تفرش شقتها؟ هل أثـاث بيتها أفضل مـن أثاثها، أم أنها فـازت بأثاث أفضل من أثاثها مائة مرة؟ هل زوجها يحبها ويشعل لها أصابعه العشر كالشموع، أم هو مجرد ثور يـدور في ساقيته كي يجلب لها الأموال كأي زوج يحترم نفسه؟ هل سعيدة؟ هل تعيسة؟ هل هل هل؟ كما تعلم فحرف الاستفهام المبني على السكون ذلك لا تعده أو تحصيه.

لـذا انجذبـت (رباب) إلى (سمية) تلك الجارة الجديدة التي وصلت إلى المنطقة مؤخرًا، تبدو ودود للوهلة الأولى، تركت شقة فـي شبرا كـان زوجها يستأجرها إيجارًا جديدًا، وأخذت تلك الشقة بعد أن ادخرت هي وزوجها وأمها وأبوها ووالداه - رحمهما الله - وأصدقائهما والجيران، وجيران الجيران، أمـوالًا صلحت لتكـون مقدمًا لتلك الشقـة التي رأتهـا على أحـد المواقـع التـي تعمـل عمل السمسار العقاري، بعد أن بحثت كثيرًا وكثيرًا، اختارت تلك الشقة لهـدوء المنطقة، فهي اختارت الشقة والعقار والمنطقة لهدوئها، لقد كانـت تحيـا فـي سوق، منطقة لا يغفو أهلها ليلًا أو نهارًا، لا ينامون تقريبًا، إن تحدث اثنان فـي سر أسفل بيتها سمعت كل ما قالاه تقريبًا، لذا قررت هي وزوجها أن وقت الرحيل قد حان، ثم لا بد من شقة في مكان هادئ يعيشون فيه كما ينبغي.

زوجها يعمل مهندسًا في الحاسبات، هـي ربـة منزل، لكنهـا مؤهل عـالٍ، لديها (حسن) فقط، ولا تفكر في أن تنجب غيره، هو فحسب، فهي لا تقدر عليه كما تقول.

هكذا عرفت (رباب) كل شيء تقريبًا عن جارتها (سمية)، وقررت أن تلك الزيارات ستتكرر فسوف تذهب إليها، ثم تذهب هي إليها، ثم تأتي هي لترد لها الزيارة مرة أخرى، وهكذا، حتى رأت (رباب) ما رأت فذهبت لتزور (سمية) وسبب الزيارة معروف (كي تخبرها بما رأت).. جميل.

ترتجف كورقة، تشرب الشاي، وتخبرها همسًا:

- هل زوجك هنا؟

- لا هو ليس هنا دائمًا.

- حسنٌ، سوف أحكي لك ما حدث.

وهكذا جلست تحكي لها كل شيء.

أما (حسن) فأخذ يقفز هنا وهناك، مع (علي) ابن (رباب).

- صدقيني رأيت القاتل بأم عيني.

- يا للهول!

قالتها (سمية) ثم أضافت:

- وهل تبينت ملامحه؟

- بالطبع لا.. فأنت تعلمين كيف يبدو الليل في منطقتنا هذه.

- أعلم أعلم.. كأنه القبور.

قالتها وهي تضع ساقًا على ساق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فـي ذلك الوقـت كـان (عليّ) ابن (رباب) قد تسلل كأي لص يحترم نفسه ودلف إلى غرفة نوم (حسن) الذي رمقه بطرف عينيه، وأكمل قفزًا.

أخـذ (عليّ) بعضه وحـاول فتح غرفـة من الغرف، لكنه لم يستطع فبابها كان موصدًا من الداخل.

لذا سار حتى وصل إلى باب آخر يحوي غرفة أخرى، عالج مزلاجها فانفتح، فتسلل إلى الداخل، كانت غرفة نوم الأبوين على ما يبدو كانت تحوي سريرًا كبيرًا، وحافظة ملابس كبيرة.

- هذه غرفة الأبوين.. فهي لا تحوي لعبة واحدة كما هو واضح.

هكذا قالهـا لنفسه وهـو يغادر الغرفـة ويغلق بابهـا بهـدوء، على أطراف أصابعه سار حتى وصل إلى غرفة أخرى دلف إليها بسهولة، فكان بابها غير موصد من الأساس تركه صاحبها دون أن يغلقه خلفه، وذلك لسوء حظه، وحسن حظه هو.

يفتح الأدراج هنا وهناك بحثًا عن أي شـيء يصلح للسرقـة، فأنت تعلم أن الأطفال أحباب الله، دس عربة صغيرة في جيبه كما اللصوص، وتحسس مكانها قبل أن يخرج، لديه مثلها، لكن هذه أفضل، لونها ربما، أو لأنها ليست ملكه، لكن الآن هي ملكه، أو للأدق دقائق ويغادر البيت وتصبح ملكه.

بالفعل عدَّل من هندامه، وخرج وهو يتلفت حوله باحثًا عن أي أحد يرقبه فلم يجد لحسن الحظ، هنا نـال صفعة على قفاه أوقعته أرضًا مـن (ربـاب)، أمسكت بـه مـن معصمه، ورفعته وهي توبخه على تلصصه على بيوت الناس وكيف وهي (مربياه) أفضل تربية.

هنا همدت حركـة (حسن) وتقدم بضع خطوات من (علي) ثـم وبحركـة غريبة، مـد يـده ليفتح السحاب الخاص بمعطف (علي) أمام أعيــن النسوة، فظهرت السيارة، كانـت تستقر تحت إبطه، وكأنها تستغيث، هنـا لـم تتمالـك (رباب) نفسها إلا وهي تصفعه على خده وقفاه وكتفه، ونال وقتها كمًّا لا بأس بـه مـن

الضربات، كانت تضربـه وهـي تكاد تبكي ومـن فمها كانت الكلمات المعتادة تخرج « لماذا؟ » « ألم أحضر لك أفضل منها؟ » « ابني حرامي يا ناس!! » « لا بد أن يطلقوا عليك (مرعي) أو (مشرط) وليس (عليّ) أبدًا ».

ثم جرجرته من قفاه إلى البيت.

أدخلته حجرته، وجلس على فراشه لا يفكر في تلك العلقة التي نالهـا مـن (ربـاب) لأنـه قـد اعتادهـا، بــل يفكر فـي (حسن) كيف علم ذلـك الوغـد الصغير بأنه كـان يخفي لعبته فـي طيـات ثيابـه خاصةً أنـه متمرس ويعرف ما يجب فعله؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استدعاء رسمي

1

جلس (عمر) مع (أيمن) وقد وضع كل منهما بعض الأوراق أمامه.

(عمر) يمرر عينيه على أسماء المجني عليهم الثلاثة حتى الآن، ويتمتم: - لا بد أن يكون هناك خيط.

دون أن ينظر إليه (أيمن) أردف:

- أبحث عن الدافع.. عن الخصومات، فلا أجد.

قالها ونظر إلى صديقه مضيفًا:

- لا توجـد أيـة خصومات، لا دوافع ظاهرة حتى الآن. إلا إذا كنت تقصد المشادة الكلامية بين الرجل صاحب الحانوت وأي زبـون بسبب أنـه قـد باعه جبنًا فاسـدًا أو معلبات مـن التونـة قـد ولـى زمنهـا، وصـارت طعامًا للقطط والكلاب.

هنا وقعت عيناه على ما أدلى به شخص يقطن في عمارة القتيلة (الحاجة فايزة) وكان المكتوب كالتالي: « هناك مشادة كلامية قـد نشبت بين المرحومـة وبين طفل صغير وأمـه، الأم اسمها (سمية) ».

هنا أضاف وهو يشد مائة خط تحت اسم (سمية) شارد الذهن: - ربما كان هذا أول الخيط، لكن لا أعتقد.. سوف أستدعيها، وسوف يكون هناك شيء جديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في تمام السابعة مساءً كانت عربة الدورية تقف أمام منزل (سمية).

خرج منهـا رجلان، تقدمهما أميــن شرطـة رأيناه مسبقًا يقف أمـام مكتب (عمر).

دلفا إلى مدخل البيت الذي يحوي شقة (سمية) و (الحاجة فايزة).

دقـات على الباب، خرج بعدها (يحيى) بفانلته الداخلية البيضاء، ومفك كبير كان يصلح به حاسوبًا خربًا، ارتبك قليلًا وترك المفك ليسقط من يديه، وهو يضيف بارتباك عادلًا عوينات صغيرة بعض الشيء حتى استقرت على أرنبة أنفه: - من؟.. لماذا؟.. من تريدون؟

- هذا منزل السيدة (سمية عبد الرحمن)؟

لبرهة وقـف يفكر (هؤلاء قوم قـد جاءوا لزوجتي، لم يخطئوا في الاسم، لكن لِمَ؟).

- ماذا تريدون؟

- ستعرف هناك.

هذه كلمات كفيلة بمعرفة الذي سيحدث هناك.

هنا خرجت (سمية) لتضيف:

- مَنْ هناك يا (يحيى)؟

قالتها وهـي تنظر خلسة مـن وراء الستار على القادم لهم فـي تلك الساعة المتأخرة فلمحت القوم، فدق قلبها بعنف، هنا قال (يحيى): - إنهم يريدونك.. وبكل تأكيد هنالك خطأ ما.

- لا بد مـن الذهاب فهذا استدعاء رسمي للتحقيـق يا أستــاذ.. تفضلي إذا سمحتِ.

قالها أمين الشرطة، فعدلت هي من حجابها على رأسها، وهي تضيف: - حسنٌ، سأرتدي ملابسي.

أضاف (يحيى) بعد أن دلف تاركًا القوم على الباب: - تفضلوا، سوف أبدل ملابسي وأذهب معكم.

في غرفة النوم قال (يحيى) وهو يعدل بنطاله:

- لا بد من محامٍ يأتي معنا في تلك الظروف، فأنا لا أعلم ما الذي ستتطور إليه الأمور، للأسفً لا معارف لنا من المحامين.

قالهـا فتذكرت (سمية) حديثهـا مـع (رباب) وهـي تقص عليها كـل شيء وتحكي لها أسرار المنطقة بأثرها، وتذكرت أن هناك أحدهـم يدعـى (إبراهيم فتحي) وهو محامٍ متقاعد، لكنه سيفي بالغرض، فقالت له: - هناك جـار لنا محامٍ، في البيت المجاور، سـوف أتصل بـ (رباب) كـي توصلني به كي يأتي معنا.

لـم يفكر فـي كيف عرفته أو أي شـيء مـن هـذا القبيل، فقط أضاف وهو يخرج من باب الغرفة: - اتصلي بها، وسأخرج لهم أنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وهكذا وجدت هاتفي يرن!

نهضت بعين لا ترى، لأجـد اسـم (هيثم السلحدار) يضيء على شـاشـة الهاتف، فضغطت الزر كي أجيب: - (هيثم) مساء الخير.

- مساء الخير يا (إبراهيم) عذرًا لأنني أتصل بك، لكِنْ هناك سبب يجعلني أفعل هذا الآن.

- ما الأمر؟

- جارتنا الجديدة (سمية) قد استدعوها لقسم الشرطة، ولا يعرفون سوانا، ونحن لا نعرف محاميًا نثق به سواك.

- لكنني متقاعد.

- ولو.. اذهب معهم كنوع من الاطمئنان.

- بأي صفة أيها الرجل؟

- محامٍ.

- يا صبر (أيوب)!!.. قلت لك إنني ...

- متقاعد.. أعلم.. كن معهم فحسب. لقد أعطيتهم رقم هاتفك وسيتصلون بك الآن.

قالها وأغلق الهاتف، لم أنتظر ثواني حتى ورن هاتفي برقم ليس مسجلًا، خمنت أنه رقم هؤلاء الجيران، لذا أجبت: - آلو

- آلو.. أستاذ (إبراهيم)؟

- نعم هو أنا.

- أرجوك نحن في مأزق.. نحن ...

قاطعته قائلًا:

- أعلم.. أنتم جيراني، لكن يا سيدي.. أ.. ما اسمك؟

- (يحيى).

- يا سيد (يحيى) أنا محامٍ نعم، لكنني متقاعد.

- يا سيد (إبراهيم) تعال معنا وكفى.. إن كنت متقاعدًا فأنـت لـن تترافع في قضية مخدرات، مجرد استدعاء للتحقيق كما قالوا.

هكذا لم أجد مفرًّا من أن أرتدي ملابسي وأذهب إلى القسم التابع للمنطقة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

في الداخل يجلس (عمر) ضابط الشرطة على مقعده، وأمامه أجلس أنا، وأمامي على المقعد المقابل (سمية).

وفي الخارج يجلس (يحيى) مع ابنهما الصغير (حسن) يُهدئ من روعه.

يقول (عمر) مهدئًا الجو:

- أرجو ألا أكون قد أزعجتكم.

أضفت أنا كي ألخص الموقف وأفهم الأمر برمته:

- لا.. لا أبدًا فقط نحن نريد أن نعرف ما الأمر.. ما سبب الاستدعاء؟ هل موكلتي متهمة بشيء ما؟ أو زج أحدهم باسمها في قضية ما؟

- أستاذ ...

- (إبراهيم).. (إبراهيم فتحي).

- أهلًا وسهلًا..

- أهلًا بك.

- فقط مجرد أقوال.

قالها ثم أضاف في تهذيب:

- إن سمحت لـي يا أستـاذة (سمية)، لقد سمع الجيران أن هناك مشادة كلامية وقعت بينك وبين المرحومة رحمها الله، ما السبب؟

نظرت (سمية) لي نظرة ذات معنى، فأومأت لها برأسي أن هلمي وتفضلي احكي (أبوس إيدك) فأنا لا أعرف لماذا أنا هنا، ومن أنت من الأساس، أو ما الذي حدث، فأضافت بعد أن تلعثمت قليلًا: - لا شيء.. فقط هـي مشادة كأي مشادة.. ابني (حسن) كان يلعب أمام شقتها، فخرجت إليه ونهرته وضربته، لهذا خرجت أنا كي ألومها على ما فعلت مع الصغير، فكيف لها أن تفعل معه ذلك؟

- فقط؟

- نعم فقط.

كان الدور الآن عليَّ أنا كي (أعمل منظر) كما يقولون، لذا أضفت: - سيدي.. الأمر واضح.. هـذه مشادة كأيـة مشادة بسبب الأطفال، وانتهى الأمر.

نظر إليَّ، وأردف:

- أعلم يا سيدي، لكن اسم موكلتك كما قلت قد جاء في التحريات لذا جئنا بها، والآن تفضلي لكن بعد أن توقعي على أقوالك تلك.

نظرت مـرة أخرى إلـيَّ وهـي تمد يديها كي تمسك القلم، فأومأت لهـا أن وقعي كي نذهب من هنا، فوقَّعت، ونهضنا مغادرين.. هنا أضاف ونحن على الباب: - إن احتجتُ إليك يومًا ما فسوف أستدعيك، إن سمحت.

التفتُّ إليه أنا، وأضفت:

- بكل تأكيد يا سيدي.. بكل تأكيد.

هكذا قلتها وانصرفنا.

في طريقنا إلى البيت شكرني الزوجين على ما فعلت معهما وأمسك صغيرهما ببنطالي قائلًا: - شكرًا يا عمو..

- لا شكر على واجب يا (جمال).

- (حسن) يا عمو.

- نعم نعم (حسن).

قلتها له وربتُّ على رأسه وانصرفت إلى شقتي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

الآن نرى الضابط (عمر) وهـو يجلس خلف مكتبه، ويلملم أوراقًـا أمامه يضعها فـي درج مـن الأدراج التي إلى جـواره في وحـدة الأدراج، يضع بعض الأقلام، و ...

هنا رأى تلك الورقة الصغيرة!

لـم تكن تلك الورقة موجودة من قبل ورقة صغيرة جدًّا كُتِبَ عليها بخط غير منمق أبدًا، أقرب إلى خط الأطفال، ما يلي: .....

أمسك بالورقة، وأخذ يقلبها، فلم يجد إلا تلك الكلمات المختصرة، وكأن أحدهم يريده أن يصرف دائرة اهتمامه وبحثه إلى تلك السيدة (رباب)..

وضع الورقة أمامه، وضغط على زر الجرس الذي يقبع فوق مكتبه، دخل بعدها الأمين، فقال صارخًا: - اذهب إلـى المنطقة التي حدثـت فيها جريمة القتل، وأحضر كـل مـن يدعى (رباب) في المنازل المجاورة لمنزل القتيلة.

ثم أردف ضاغطًا على الكلمات:

- كل من اسمهن (رباب) ويعرفن القتيلة أو يجاورن منزلها.

هز الأمين رأسه وانصرف في مهمة بحث شاقة.

لكن لحسن حظـه كانـت أول واحـدة تقطـن إلـى جـوار بيت القتيلة اسمهـا (رباب) وزوجة (هيثم السلحدار) صديقي، لذا جاءني الهاتف كما صارت العادة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت وقتها نائمًا لذا نهضت على صوت الهاتف، لقد نسيت أن أجعل تلك الرنة المزعجة تخرس إلى الأبـد، سوف أجعله منذ ذلـك الحين عند كـل فراش صامتًا.

ضغطت زر الاستجابة وأجبت على (هيثم) الذي جاء صوته مرتعدًا: - لقد علموا أننا نعرف كل شيء، لقد استدعوا (رباب).. (إبراهيم) سوف يحبسوننا!!

اعتدلت ونهضت تاركًا الفراش الدافئ الجميل، وأنا أهدئ من روعه: - اهدأ واحكِ لي ما حدث.

- هناك شرطي يقف على الباب ويريد زوجتي.

- فقط.

- وهل هناك أكثر من تلك المصيبة يا رجل؟

- لا أقصد.. أقصد لَمْ يقولوا شيئًا لكما؟

- لا، هم يريدون (رباب) فقط.

- حسنٌ، لكنني لست محاميًا، اذهب أنت وسوف أتابعك على الهاتف.

بالطبع وللمرة الثانية دار ذات الحديث:

- (إبراهيم) تعال معنا وكفى. إن كنت متقاعدًا فأنت لن تترافع في قضية مخدرات، مجرد استدعاء للتحقيق وإلخ ...

هكذا لا مفر من أن أرتـدي ملابسي وأذهب إلـى القسم التابع للمنطقة؛ لذا أضفت: - سوف أرتدي ملابسي وألحق بكما على قسم الشرطة.

- أرجوك.

- حالًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في قسم الشرطة مرة أخرى أجلس وأمامي (رباب) وخلف المكتب يجلس (عمر) بيه، يمسك بورقة صغيرة، ويضيف: - أنت تعلم أنها مجرد ...

هنا قاطعته:

- لا داعي لتلك المقدمات هذا عملك، أنا أعلم أنكم سوف تأخذون أقوالها.

هكذا وفرت عليه الكثير، فأضاف هو:

- سيدة (رباب)، هل تعرفين المرحومة (الحاجة فايزة)؟

كانت (رباب) ترتجف كورقة، لذا قالت دون أن تنظر إليَّ أو إليه بصوت مبحوح وبتلعثم واضح: - نعم بكل تأكيد.. فهي جارتنا منذ زمن.

- هل لاحظت أن لها أعداء في الفترة الأخيرة؟

- لا.. فمن سيكون عدوًّا لسيدة عجوز كبيرة في السن؟

- أنا أسألك فقط.

- أقصد لا.

حاولت الحديث، لكن الرجل، أضاف وهو يناولني الورقة الصغيرة التي كان يقلبها بين راحتيه: - تفضل يا أستاذ (إبراهيم) اقرأ تلك الورقة من فضلك.

تناولت منه الورقة الصغيرة بتعجب، وبدأت أقرؤها بصوت عالٍ: - (رباب تعرف كل شيء) لا أفهم شيئًا.. من كتبها؟

- هذه الورقة قد وجدتها على مكتبي لهذا تم استدعاؤكم.

هنا كانت أعصاب (رباب) قد ذهبت بلا رجعة، وفقدت اتزانها تمامًا، فأضافت وهي تبكي كالأطفال بصوت أقرب إلى الصراخ: - نعم، لقد رأيتها.. رأيت الجريمة.

كدت ألطم على خدي، أو أصفعها هي على خدها كي تصمت، لكني ابتلعت ريقي وصمت وأنا أنصت إلى باقي التحقيق.. اعتدل (عمر) في مقعده وهو يبتسم، وأضاف: - حسنٌ، ما الذي قد شاهدته بالضبط؟

قالها وهو يضغط الزر الذي أمامه فدخل أحدهم، طلب منه كوبًا من عصير الليمون كي يُهدئ من روع (رباب)، وأضاف: - لقد طلبت لك عصيرًا من الليمون، الآن اجلسي واهدئي واحكي لي ما رأيت تفصيلًا.

جلست (رباب) وبدأت عاصفتها تهدأ، وأضافت:

- لقد رأيت طفلًا صغيرًا أو رجلًا قصير القامة أو رجلًا قزمًا يجر جسد المرحومة جرًّا حتى وصل إلى الجرف، ثم ألقى بها من فوق الجبل.

صمتت لبرهة، وأضافت:

- لقد كانت العتمة تكسو كل شيء والظلام هو السائد، لذا لم أتبين ملامح الاثنين.. الجاني أو المجني عليه.

هنا دق الباب، ودلف الرجل، وضع الصينية على المكتب، ثم غادر.. لاحظت أن دوري قد حان، فأضفت: - نعم.. في هذه المنطقة تحديدًا الظلام يكسو كل شيء بالفعل.

- أعلم أعلم.

قالها كي يخرسني، وأردف:

- ولماذا لم تأتي إلينا كي تحكي ما رأيت لنا.. ألا تعلمين أن هذه شهادة أمام الله، لا بد أن ...

- والله ترددت كثيرًا.. كنت خائفة.

هنا نظر إليَّ فكدت أن أقول إنني نصحتها، لكنها لم تستمع إلى نصيحتي، لكنني أضفت شيئًا آخر: - (عمر) بيه.. إن موكلتي لا تعرف شيئًا سوى ما قالته لسيادتكم، وأعدك إن علمنا شيئًا أن نأتي إليك وندلي به.

وهكذا لم يجد الرجل مناصًا من أن يصرفنا، فلا دليل واحدًا ضدها، وهكذا وقَّعت هي على المحضر والأقوال، وانصرفنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الطريق حكيت ما حدث (لهيثم) الذي أضاف متسائلًا لزوجته: - من الذي حكيت له يا (رباب)؟

كانت (رباب) تنظر إلى الأرض وتبكي، لكنها قالت دون أن ترفع عينيها: - (سمية).. جارتنا.

هنا نظر (عليٌّ) ابنها إليها في نظرة حانقة ذات معنى ـ وهو يصرخ فيها: - ألم تخبريني أن هذا سر بيني وبينك؟

هنا طالته قدم (رباب) وركلته في مؤخرته كي يصمت، فصمت وهو يضع يده على مكان الركلة ويعوي ألمًا.

بكل تأكيد لم نأخذ من (رباب) حقًّا ولا باطلًا، فأنت تعلم ما حدث (الكثير من القَسَمِ، والكثير من الأسف على أنها قد خبأت عليه).

وعاد الجميع إلى البيت دون كلمة أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استدعاء ولي أمر

1

بعد أن استقر الأبـوان فـي المنطقة، ذهبت (سميـة) وتقدمـت بالأوراق المطلوبة للمدرسة التابعة لتلك البقعة، والتحق بها (حسن) بالفعل.

ظنت (سميـة) أنهـا قـد أراحـت نفسهـا بهذا، وقـد بـدأ الكل يتأقلم على المنطقة الجديدة، لكن هيهات فما كانت تخبؤه لها الأيام التالية كان أكبر مما تتحمله.

لقد كانـت تـود إخبار زوجها بمجرد بلوغ ابنهما (حسن) عامه السابع أنها تود أن تعزم جيرانها الجدد ولتكن حفلة عيد ميلاد راقية يتعارف فيها الجميع، لكن بوفاة جارتها (الحاجة فايزة) تلاشى كل شيء؛ لذا كان الحفل صغيرًا ومعه تورتة صغيرة تكفي لثلاثة أفراد: الأب، والأم، والصغير..

هكذا كان كل شيء على ما يرام، حتى حدث ما حدث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تعالوا معي لنر (حسن) وهو في فصله.

كل الصبية يجلسون في الصف يتابعون ما يقوله المدرس الذي وقف معطيًا ظهره لهم.

في تلك الأثناء كان ذلك الفتى (عصام) يرمق (حسن) فـي شـك وحيرة، يرمقه ويدقق النظر إليه.. ما بال هذا الفتى الجديد يميل إلى الانعزال، لا يتحدث إليهم بتاتًـا، لقد حاول مائـة مرة وتحدث إليـه هـو وبعض أقرانـه، لكنه كـان يترك الجميع ويسير في طريقه لا ينظر إليهم، حتى الحمام لم يره يومًا يذهب إليه!

هذا الفتى قادم من المريخ، لا بد أنه شيطان صغير.

هكذا اتفقت العصابـة الصغيــرة، (عصـام) وثلاثـة فتيـان آخرون، سـوف يخرجون مـن المدرسة وينتظرونـه.. يجرونـه جرًّا إلى الحوش الخارجي، وسوف يوسعونه ضربًا حتى لا يجد من يغيثه، حتى يعدل عما يفعل.

لكن (عصام) وقتها لم ينتظر، فهو يجلس إلى جوار (حسن) ملازمًا إياه، الفضول والنار تتأجج في صدره، لـذا حـاول بسن قلمه أن يمزق كشكوله، مد قلمـه ووضـع سنـه وسـط الورق الأبيض، وهَـمَّ أن يشـده ليمزق الورق، لكــن (حسن) باغته بأن رفـع قلمه وهوى بـه على كفه ليخترقـه ويخرج مـن الجهة الأخرى، صرخ (عصام) ونهض وهو ممسك بيديه.

التفت الأستاذ (شوكت) ليجد الفاجعة، صرخ هـو الآخر، وألقى بالطبشور على الأرض ولـم يعرف ما الذي يفعله، وضـع كلتا يديـه على فمه وهـو يبكي ويصرخ كالثكالى وينظر إلى يد (عصام) والقلم ما زال فيها، ثم أخذه وذهب به إلى مدير المدرسة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في المنزل كانت (سمية) تعد الطعام لزوجها وابنها.. كانت تستمع إلى هاتفها المحمول، أغنية ما يهدر صوتها، وتدندن هي خلفها.

في حين دق جرس الهاتف وانقطعت الأغنية.

جففت يديها وحملت الهاتف ووضعته على أذنيهـا، فجاءها صوت المدير يسأل عن ولي أمر (حسن).

- هل حدث له مكروه؟

قالتها وقد دق قلبها سريعًا، فأتاها صوت الرجل وقورًا: - لا، بل هو من أحدث مكروهًا.

هنا هدأ روعها، وبدأت في تبديل ثيابها، وذهبت إلى المدرسة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

عندما ذهبت إلى المدرسـة وجـدت الفاجعة، يـد صبي مربوطـة بالشاش الأبيض، ويبكي ويتألم بشدة، ووالدته تقف تمسك بـه، وتبكي هـي الأخرى مواساة لابنها الذي اخترقت سن القلم يديه.

- لا بد من الذهاب إلى المستشفى الآن وإلا فقد الكف عمله.

قالتها الممرضة الخاصة بالمدرسة، فأضافت أم الصبي:

- كنا ننتظر والدة رئيس العصابة. أنـت لـم تربي ابنك جيدًا أيتها السيدة. سـوف أحرر محضرًا له إن فقدت يد ابني عملها، ولا تلومن إلا نفسك وتربيتك له.

قالتها السيدة لـ (سمية) التي وقفت لا تلوي على شيء، ووقفت كالأطرش في الزفة، هنا لحقت بها كلمات المدير، الذي كان وقورًا يرتدي عوينات، وكان ذا شعر طويل أبيض بالكامل.. ترك مكتبه، ونهض ليرى والدة الجاني الصغير:
- أنت تعلمين يا سيدتي أن هذا الفعل يستوجب الطرد من المدرسة.

كادت أن تهم بقول شيء، لكن الرجـل واصـل كلامه مسترسلًا كأنه علم ما بداخلها: - أعلم أنك قد أجهدت أمرك كي تنقلي ابنك ها هنا، لذا لن أرفده، وسوف يكون هذا إنذارًا أخيرًا، لكن ...

- لكن ماذا؟

- إن كانت تلك السيدة صادقة، وإن - لا قدر الله - حدث ما قالته الممرضة لنا بأن فقدت يـد الولد عملها، وإن حررت محضرًا لابن سيادتك، فلا بد لـي أن أطرده فورًا، فهذه سمعة مدرسة بالكامل.

قالها فشكرته وأخذت ابنها تحت إبطها، وغادرت المدرسة.

ترددت وقتها في أن تخبر (يحيى) أم تخبئ عنه ما حدث برمته، لكنها لم تخبره، كأنها ادخرت هذا كي تحدثه عن شيء آخر، شيء آخر أكثر خطورة من مجرد طفل صار أكثر عدوانية وضرب زميلًا له في الصف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منذ ذلك اليوم تقريبًا وهـي ترقب (حسن) عـن بعد، كيف لابنهـا الرقيق ذي الأعوام السبعة، الذي ربته جيدًا أن يفعل ذلك، أن يتحول إلى وحش كاسر عدواني بهذا الشكل الذي يجعله يرتكب تلك الفعلة.

هي تعلم أن ابنها انطوائي، لا يحب الحياة الاجتماعية أبدًا، لا يحب اللعب مع أقرانه منذ طفولته، لكنها لـم تكن تعلم أبدًا أن هـذا سـوف يجعله عندما يصل إلى تلك المرحلة عنيفًا لتلك الدرجة، لكن ليس هذا هو المهم، بل المهم ما حدث تلك الليلة، لقد قررت عـدم ذهابه إلى المدرسة ليومين آخرين، حتى تهدأ أعصابه، ويمر الحادث مرور الكرام.

كـان وقتها (يحيى) ما زال في العمل، الساعة الثامنة ليلًا، أمسكت هاتفها المحمول، اتصلت بوالدة الصبي الذي تعارك معه (حسن) وأصابـه في كـف يده، فلم تجد الرقم متاحًا!

مرة ثم أخرى، لكن الأمر كما هو، الهاتف غير متاح الآن!

تركت الهاتف على المنضدة، وشرد ذهنها، هنا تناهى إلى مسامعها صوت دندنة قادم من غرفة (حسن).

نهضت ودنت أكثر من غرفته، وأصغت السمع، كان يدندن بكلمات مخيفة مقبضة، كأنها ولدت للظلام..

(من يدنو أكثر يحترق.. تيه تاه.. واه.. أنا ابن النعمان

من يمشي وحده يموت.. تيه تاه.. واه.. في القبر ينام ويموت

من يدنو أكثر يحترق..)!

دقات قلبها تدق بعنف، ما هذا الكلام، من أين أتى بكلمات تلك الأغنية الكئيبة؟!

وضعت يدها على المقبض وفتحت الباب بتؤدة، كي تلقي نظرة عليه وكانت الصاعقة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لقد كان (حسن) غير موجود بالغرفة من الأساس!

دقـات قلبها كأنها تتسارع، وضعت يديها على صدرها وبحثت في الغرفة كالمجنونة، ثم رأتـه، رأتـه يقف على الباب ينظر إليهـا تلك النظرة الخاويـة، عندها صرخت، وقفزت مترين في الهواء.

ألقت بالملاءة على الأرض وذهبت إليه، أمسكته من ذراعه، وهي تضيف: - أين كنت أيها الملعون؟ ومن معك في الغرفة؟

قالتها وهي ممسكة بكتفه، فأضاف هو دون أن يحرك ساكنًا: - أبي كان معي!

- أبوك من؟!.. إنه لم يأتِ بعد.. أنت تكذب يا (حسن).

- لا أكذب، لقد كان معي وعندما فتحت الباب غادر!

- أنت تكذب أيها الفتى. وسوف أريك، أبوك لم يعد بعد من الشركة و ...

- ليس عن هذا أتحدث.. بل أبي الآخر!

كانت كلماتـه كالصاعقة سـدادة فلين إلـى فمها. وقفت كالبلهاء لا تعي ما يقول، ولا تعي ما الذي ستقوله. دقيقة كاملة صامتة ثم قالت، وصوتها أقرب إلى الصراخ: - والدك من؟ هل جننت؟!

قالتها فحرر نفسه منها، ودلف إلى الفراش دون كلمة أخرى!

كـادت أن تذهـب خلفه كـي تكمل كلامها معه، لكنهـا لـم تفعل.. لا تعلم لماذا لـم تفعل.. ربما هو الخوف قـد دق بابها، وربما خافته هـو نفسه، لـذا أغلقت الباب وخرجت، وجلست على المقعد المقابل للباب وأخـذت ترمـق باب غرفته حتى نامت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

في الثامنة صباحًا، وجدت نفسها نائمة على الفراش، علمت أن (يحيى) قـد عـاد وحملها إلى غرفة النوم، أو اقتادها إليها، كي نكون دقيقين.. نهضت

وعظامها تؤلمها، بحثت في غرفتها فوجدت (يحيى) قـد غادر الفراش، نظرت في الساعة فوجدتها الثامنة - كما ذكرنا، فعلمت أنـه قـد غـادر الشقة نفسها وذهب إلى العمل.

لا تعلم لماذا دب الرعب في قلبهـا، كم تمنت أن يبقى اليوم ولا يذهب إلـى العمل.. كم تمنت أن يبقى ويجلس معها ليعينها.. إن سلطة الأب لا غنى عنها، الأب هو السند والوتد.. هو الملاذ.. أنتم تعلمون ذلك المثل الأزلي القديم الذي يقول (ظل رجل ولا ظل حيطة).

الآن هي تعي جيدًا معنى هذا المثل.

نهضت وتركت الفراش ودخلت إلى غرفة (حسن) خلسة، وجدته نائمًا، فراشه يعلو ويهبط، أغلقت الباب ودلفت إلى الحمام.

أخـذت حمامًا لا بأس به وخرجت لتجد هاتفهـا يضيء، هـذا رقـم هاتف لا تعلمه!

أمسكت الهاتف وأجابت لتجد صوت رجل وقور!

- مدام (سمية)؟

- نعم هو أنا. من معي؟

- أنا (وحيد ثابت).. مدير مدرسة ابن سيادتك.

- أهلًا وسهلًا.. ما الأمر؟.. هل حدث مكروه؟

قالتها ثم أردفت متسائلة وقلبها يدق بعنف:

- هل حررت والدة الطفل محضرًا ضد (حسن)؟

- إنه ... لا لم تفعل.

لم تعطه فرصة للحديث فقد أضافت:

- إذن سوف تحرر محضرًا لذا أنت اتصلت بي كي تحذرني أو ...

- لن تفعل يا سيدتي، لأنها ببساطة قد ماتت.. ماتت هي وابنها يا سيدتي.

قالها فصمتت لبرهة كي تعطي فيها الفرصة لنفسها كي ترتعد، ويسقط من يدها الهاتف.

كان صوته ما يزال يتحدث عبر الهاتف لكنها لا تسمعه فقد كان بعيدًا: - (لقد اح.. ترق.. المن ... زل.. عن ... آخ...رررره).

ثم دق جرس الباب!

قفزت في الهواء وهي ترتعد ثم شردت لثوانٍ أخذت تنظر فيها إلى الباب، فأي مصيبة قد تزف إليها الآن.

نهضت وتركت هاتفها ملقى على الأرض، وفتحت الباب.

وجدت جارتها التي تقطن بالأسفل تقف أمامها وهي ترسم على وجهها أعتى علامات الحنق والغضب.

- أهلًا بك.

- لا أهلًا ولا سهلًا.

قالتها الجارة في شيء من الغضب، ثم أردفت كأنما فاض الكيل بها: - لولا أننا جيران، والنبي قد أوصانا بالجار وأن له حقًّا، لكنت حررت ضدكم محضرًا منذ جئتم إلى هنا.

وقفت (سمية) كالبلهاء لا تعي عما تتحدث تلك السيدة، لكنها أضافت: - لقد قلت منذ اليوم الأول إنكم تنقلون متاعكم، لذا هناك أصوات وضوضاء، أما الآن، وقد مرت بضعة أشهر، ما زالت الضوضاء كما هي.. الكهرباء بالكامل لم تعد كما هي.. أضواء منزلي تهتز ليلًا نهارًا.

- سيدتي ...

قالتها (سمية) وهمت أن تضيف شيئًا، لكن السيدة أضافت:

- ثم الحريق الذي أشم رائحته ليلًا نهارًا.. أو ربما شواء هذا، ثم تلك البقعة الكبيرة التي هي أقرب إلى دماء تتسرب من غرفتكم، ولهذا صعدت إليك، لقد أفسدتم حياتي بالكامل.

صمتت السيدة كي تلتقط أنفاسها، ثم قالت منهية حديثها:

- للمرة الأخيرة.. إن استمررتم على هذا المنوال سوف أحرر محضرًا ضدكم.. لقد حذرتكم، وراعيت حق الجيرة، أرجو أن تراعوها أنتم كذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قالت السيدة كلامها ثم ذهبت وعادت أدراجها إلى شقتها دون أن تنتظر رد (سمية) الذي لم يأتِ، فقط ظلت صامتة كلوح خشب دق في الأرض، لم تدخل شقتها ولم تغلق بابها.

أدارت وجهها إلى الداخل، وأخذت ترمق غرفة الطفل، غرفة (حسن) الغرفة التي قالت السيدة عنها إن رائحتها كرائحة الشواء، وإن سقفها به بقعة من الدماء أو بالأحرى تشبه الدماء تتسرب من أرضيتها لتهبط على سقفها.

كانت ترتعد.. أغلقت الباب بتؤدة، وظلت صامتة كما هي.

ببطء تقدمت إلى غرفة ابنها وفتحت الباب فوجدته يجلس ناظرًا إلى الشرفة.

أضافت دون أن يلتفت إليها ودون أن تنتظر رده:

- كن جاهزًا الآن.. سوف نذهب إلى المدرسة.

قالتها وأغلقت الباب، ودقات قلبها تدق بعنف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اكتشاف صغير

1

أخذته وذهبت به إلى المدرسة.. وقفت أمام باب المدرسة وتركته.

دلفت إلى شئون الطلبة، أخذت عنوان الطالب المكلوم هو وأمه، وذهبت إليهما.

عندما وصلت إلى البيت - الذي كتبوا لها عنوانه في ورقة - وجدت البناية محترقة عن آخرها.

قدمها صارت كالهلام، قلبها يتواثب كضفدع، سألت أحد المارة عن كيفية حـدوث الحريق، فأجاب وهو يمصمص شفتيه، لا أحد يعلم لكنهم يقولون إنه حادث.. حادث وكفى، ربما كان ماسًا كهربيًّا.

قالها ثم أكمل طريقه وذهب من أمامها.

تقدمت إلـى البيت فوجدتـه يتشح بالسواد، كأنـه اكتسـى بدهـان أسـود اللون.

لا تعلم لماذا في هـذه الأوقات تحديدًا تذكرت كلمات (حسن) وهو في غرفته..

« من يدنو أكثر يحترق.. تيه تاه.. واه.. أنا ابن النعمان

من يمشي وحده يموت.. تيه تاه.. واه.. في القبر ينام ويموت

من يدنو أكثر يحترق.. ».

تذكرت كلماته، ثم أخذت بعضها وعادت إلى المنزل.. جلست على الأريكة لتستريح.. تنهدت وجلست تفكر كثيرًا فيما حدث..

لقد تغير ابنها بلا شك.. هذا ليس ابنها.

تغير كثيرًا، تبدل تبدلًا ملحوظًا ذلك الـذي يأتي بين يـوم وليلة بين عشية وضحاها.

لم يكن عدوانيًّا، ثم مَنْ أبوه الثاني هذا الذي يتحدث عنه؟

كلام الجارة..

ابنها الذي لم يعد كما كان، لقد صارت بلا أدنى شك تخشاه.

كـم تمنته من الله، كـم تضرعت إليه - سبحانه وتعالى - كـي ينعم عليهـا بالولد، كم مرة ذهبت إلى أطباء محملة بالأمل الذي لم ينضب، ثم تعود من

عندهم وقد أخذوه كله ولم يبقوا منه شيئًا.

كم مرة ذهبت إلى أضرحة الأولياء واستغاثت بهم.

كم مرة ذهبت هي و(يحيى) إلى المستشفيات من أجل اللجوء إلى الحل الجراحي أو أطفال الأنابيب.. كـم مرة فكرت فـي تبني طفل، لكنهـا تريـد أن تحمل طفلًا منها من لحمها ودمها..

تتذكر كل هذا ثم تتذكر ذلك الشيخ الذي ذهبت إليه.

وتغفو قليلًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الآن هي فوق تلة كبيرة ترى من فوقها ابنها.. إنه (حسن) بكل تأكيد تراه.. ليـس جسـدًا بما يكفي فالإضـاءة ليست على ما يـرام فـي ذلـك الحلــم علـى ما يبـدو. تضيق عينيهـا كي ترى أكثر أو بالأدق أوضح وتدقق النظر أكثر فيما يفعل.. فلا ترى سوى أنه يجثو أمام جسد مسجى.

تتقدم قليلًا حتى كادت تسقط من فوق التل، تتساقط حبات التراب فتشهق، وتتراجع.

تتقدم مرة أخرى بتؤدة، ثم تتخذ قرارها وتهبط التل تجاه ولدها.

الرؤية من هنا تتضح أكثر.

إنه (حسن) بالفعل، لكن ما هذا؟!

إنـه يجثو فـوق جثمان السيدة العجوز، ويمسك فـي يـده عصا من حديـد طرفهـا مدبب، يطعن بهـا الجثمان المسجى الغارق فـي الدماء بلا هـوادة.. الدماء تتناثر على وجهه وعلى الأرض.. قطع اللحم تتناثر حوله، ثم تأتي عليها، وعلى وجهها الدماء، هنا تصرخ.

يلتفت (حسن) إليها بوجـه يبتسم كالشياطين، ثم تسمع صـوت الأجراس تدق من كل صوب!

هنا تصرخ وتصرخ.

تفتح عينيها، والعرق يتصبب من وجهها بغزارة!

تررررررررررررن.. تررررررررررررررن!

- ما هذا لقد نهضت من النوم، إذن ما تلك الأصوات؟

دقيقة حتى علمت أيـن هـي وعلمت أن تلك الأصـوات هـي أصـوات جرس الهاتف!

تفتح حقيبتها، وتبحث عنه داخلها، تمسك به وتجيب: - هذه أنت؟

- (مريم) كيف حالك؟

- بخير حال والحمد لله.. وأنت؟

- ليس على ما يرام يا (مريم).. ليس على ما يـرام.. أو لنقل لست فـي أفضل حال.

- ماذا هنالك؟

- (حسن).. أحواله ليست على ما يرام، لقد تبدل كثيرًا، لم يعد هو.

- لا أفهم ما تقولين.

قالتها ثم سمعت بكاء شقيقتها من الجهة الأخرى، فأضافت (مريم) وقلبها يدق: - (سمية) أنت بخير.. سوف أحضر إليك حالًا.

قالتها (مريم) لأختها (سمية) ثم ضغطت الزر وأغلقت الخط.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وضعت (سمية) الهاتف على المنضدة وهي تبكي.. هي بالفعل بحاجة إلى من تحكي له، هي بحاجة إلى شقيقتها (مريم) لن تستطيع إخبار (يحيى) بهذا، هـي تعرف أن تصرفـه لـن يكون على ما يرام، فهو مـن الأصل لـن يعي ما تقوله؛ فهو يعلم أن هذا هـو قلب الأم، وأن ابنهما على ما يرام، هي فقط تخشى عليه أكثر مما يجب، وتريده أن يكون (زويل) في علمه، و(طه حسين) في أدبه و(الشعراوي) في خلقه ودينه، لذا لم تقل له شيئًا.

تاااااااك!

هكذا سمعت ذلك الصوت الذي جعلها تفيق من خواطرها!

وهكذا مسحت أنفها الذي يسيل بظهر يدها، ونهضت مفزوعة!

ما هذا الصوت؟!

إنه قادم من غرفة الولد.. من غرفة (حسن)!

تقدمت بتؤدة ووقفت أمام الباب تمامًا.

تاااااااااااك! مرة أخرى!

فتحت الباب بسرعة، ونهبت الغرفـة بعينيها فلم تجد شيئًا، لكن الرائحة لم تعد تطاق!

ما هذه الرائحة؟

كيف وصلت غرفة الولد إلى هذا السوء؟

هنا تذكرت حديث السيدة جارتهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

« لقد قلت منــذ اليــوم الأول إنكـم تنقلون متاعكـم، لـذا هنـاك أصـوات وضوضاء، أما الآن، وقد مرت أشهر، وما زالت الضوضاء كما هي.. حتى الكهرباء لم تعد كما كانت.. الأضواء كلها تهتز ليلًا نهارًا، ثـم الحريق الذي أشم رائحته ليلًا نهارًا.. أو ربما شـواء هذا، وتلك البقعة التي ظهرت والتي تشبه الدماء، فهي ما جعلني أصعد إليك.. لقد أفسدتم حياتي بالكامل.. ».

وقفت تتذكر هذا كله، ثم رددت الكلمات الأخيرة: - البقعة أعلى غرفة (حسن)!

تقدمت إلـى الفراش وهمت أن ترفعه كله، لكن جرس الباب دق بإلحاح، وتبعته لكمات على الباب!

نظرت إلى الفراش، ثم تركته وتركت الغرفة بأكملها وذهبت كي تفتح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتحت الباب لتجد شقيقتها (مريم) وابنتها الصغيرة (ريـم)، تهلـل وجـه (سميـة) واحتضنت الصغيرة، ثـم احتضنت شقيقتهـا بشدة، وغـاصـت فـي أحضانها.

ثم بكت مرة أخرى.

ربتت أختها على ظهرها وكتفها، ثم دلفت.

جلست أمامها ووضعت حقيبتها على المنضدة.

- ما بك؟ هل ...؟

لم تعطها (سمية) فرصة وقاطعتها:

- لقد تغيَّر يا (مريم) لم يعد هو.. أفعاله ليست طبيعية بالمرة.. في كل مرة أحاول أن أخبر (يحيى) أجـد كلامه الأخير لـي فـي أنني أخشى عليه أكثر من أي أم، وغير ذلك من هذا الكلام، الذي لا يفيد.

تصمت، ثم تضيف:

- أكاد أقسم إنه ليس ...

هنا قاطعها صوت هاتفها.

تناولت (مريم) الهاتف، وأضافت:

- رقم غريب.

قالتها وناولته إلى (سمية) التي أجابت بلهفة كأنها تعلم أن المصيبة تخصها: - آلو..

- مدام (سمية)؟

هي تعرف ذلك الصوت، إنه صوت مدير المدرسة.

- نعم أنا.. أهلًا بك سيادة المدير.

- أرجو أن تحضري حالًا.

هكذا بلا مقدمات قالها، ثم استأذن وأغلق الهاتف في وجهها!

نهضت وهي تضيف:

- ألم أقل لك؟ لقد فعل مصيبة أخرى والآن يستدعونني.

- كيف عرفت؟ وما الذي حدث؟

- لا أعلم، لكنها مصيبة هذا أكيد.

قالتها وخرجت من شقتها، وركضت على الدرج وذهبت إلى المدرسة.

لحقت بها (مريم) ومعها (ريم) وهي تقول:

- انتظري سأحضر معك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

في المدرسة، وتحديدًا في غرفة المدير، كان حشد لا بأس به يقف بالداخل ينتظرها!

تقدمت هي بخطوات بطيئة بعد أن استأذنت الجميع، رأت طفلها وسط الجمع يقف وأمامه طفل آخر يقف ممسكًا عنقه التي تم تضميدها بالشاش عن آخرها، وهذا الطفل في أحضان سيدة علمت أنها والدته.

رآها المدير فقال:

- ها قد وصلت والدته.

قالها ونظر إلى (مريم) فأضاف متسائلًا:

- من حضرتك؟

نظرت (مريم) إليه، وأضافت، وهي تجثو وتقترب من (حسن): - أنا خالته..

رمقت (سمية) الجمع بسرعة وأضافت:

- ما الأمر؟

- كما ترين.

قالها الرجل بوقار ثم أضاف:

- أرجو أن تبحثي عن مدرسة أخرى تقبل بآكل لحوم بشر أو مصاص دماء في صفوفها، أما نحن فلا.. أعتذر لك.

نهضت (مريم) وهي توجه كلامها إلى الرجل:

- ليس من حقك أن تقول هذا.. كيف تجرؤ؟!

- انتظري.

قالتها (سمية) وهي تضع يدها أمام (مريم) كي لا تتصرف أي تصرف غير مسئول، فهي قد اعتادت على ذلك المشهد.

هنا انفجرت السيدة والدة الفتى المصاب في وجه (سمية): - ها أنت ذي.. إن ابنك يا مدام قد التهم عنق ولدي، ولسوف أحرر محضرًا. تخطئون ثم لا تعتذرون. ولدك يلتهم عنق ابني، ثم تصرخون فينا بسوء أدب.

كانت كلمات السيدة ترن في أذني (سمية)، أما (مريم) فكانت تنظر إلى السيدة وابنها المأكولة عنقه ذاهلة فاغرة فاهها، وقد صمتت وكأنها صارت بكماء.. أما عن (سمية) فلا تعلم لِمَ تذكرت الموقف الماضي مع السيدة التي احترق منزلها، لقد قالت لها قبل موتها ذات الكلمات عن تحرير محضر وسوء التربية وغير ذلك، والنتيجة أنها ماتت محترقة، لذا كادت أن تمسك فم تلك السيدة حتى لا تقول تلك الكلمات، لكنها أمسكت بابن السيدة المكلوم وجثت على ركبتيها وهي تضع يدها على خديه: - ما اسمك يا حبيبي؟

- (عاصم).

- أنا آسفة يا (عاصم).. سأفعل لـك كل ما تطلبه. قـل لي ما الـذي حدث لك؟

كان الطفل يبكي، لكنه هدأ قليلًا وأضاف وهو يضع يده على عنقه: - لقد.. ال ... تهم.. عننن ... نققققي.. فقط قلت لـه إنـه السبب فـي وفـاة صديقنا.. للققد.. اننننقض.. عللللي.. ووو نننننششششب االسننانه في عنقي و.. (مفففففففف) (كان يقول هذا وهو ينشج) للحممي.. وأكلل لحممي ومضغغه اممامم الججميع.

قال ما قال وانفجر في البكاء.

ربتت (سمية) على رأسه ثم نظرت إلى ابنها الذي وقف هادئًا كأنه لم يفعل شيئًا.. في أحضان خالته.

نظرت (سمية) إلى السيدة والدة الطفل وأضافت: - أنـا آسفة.. وأعتذر عما فعله ابني.. سـوف أفعل ما تطلبونـه مني.. أنـا أقطن في هذا العنوان بالمقطم.

قالتها وهي تكتب عنوانهـا في ورقـة صغيرة وتستند إلـى مكتب المدير، وتُناولها إليها وتضيف: - أرجـو أن تشرفينا في أقرب وقت، وسوف أفعل ما تقولونه لي، لا بـد أن تأتوا إلينا.. هذه ليست عزومة، هذا حقكم علينا.

صمتت برهة ثم أردفت:

- غدًا سوف أنتظرك يا (عاصم) أنت وماما، لا تتأخرا.

قالتها وتقدمت من (حسن) ثم صفعته ونظرت له كي ترى ردة فعله، لكنه كان صامتًا كقبر.. نظر لها ثم نظر للجميع، وأغمض عينيه.

- كيف لك أن تفعل هذا؟ إن لم أقدر على تربيتك، فسوف أقتلك بيدي.

أبعدتها (مريم) عنه، وهي تضيف:

- كيف تفعلين هذا؟ إنه طفل.. أجننت يا (سمية)؟

هنا تطوعـت إحـدى السيدات بأن أمسكت (بحسن) بعد أن حررتـه مـن (مريم) وقالت وهي تضع يديها على خده برفق: - لا بد أن يذهب إلى طبيب نفسي..

قالتها ثم أردفت وهي تتبادل النظرات بين (مريم) و(سمية): - أنا معلمته.. إنه منعزل تمامًا عن أقرانه.. لا يستجيب معي في الواجبات.. شـارد الذهن دائمًا.. يتحدث إلى نفسه طوال الوقت.. في بداية تعارفي عليه قـال إن اسمه (حسن) (حسن النعمان) وبعد ذلـك علمت أن اسـم أبيه هـو (يحيى) وعندما سألته قال إنه لا يعرف له أبًا سـوى (النعمان) وإن (يحيى) هذا ليس أباه.. هل ممكن أن أفهم منك أم إنه سر؟

هنـا شعرت (سميـة) أن السيـدة تتهمهـا فـي شرفهـا وفـي حُسن سيرتهـا وسلوكها.

لذا نظرت (مريم) لها ولتلك المعلمة، ثم أمسكت بيد (حسن) ويد (ريم) ابنتها بشدة، وانصرفت وهي تضيف بفظاظة، وتجرهما إلـى الخارج وتدفـع أختها في ظهرها كي تسير أمامها: - (النعمان) هـذا خاله.. وهـو يحبه أكثر من أبيه. ظننت هـذا واضحًا للجميع.

قالتها ثـم انصرفت مغادرة المدرسة ومعها (سمية) التي علمت أنهـا لـن تعود بابنها إليها مجددًا أبدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

عادت إلى المنزل وقد فاض الكيل بها، ومعها (مريم) وابنتها مرة أخرى.

كـادت أن تهم بصفعه مرة أخرى، لولا أن سمعت صـوت سارينة الإسعاف وتبعها صوت سيارة الإطفاء!

هرعت إلى الشرفة، فوجدت السيارتين تقفان أمام البناية التي تقطن بها!

هرعت لتفتح الباب وسط تساؤلات شقيقتها (مريم)، لكنها تسمع (حسن) يدندن بتلك الكلمات المخيفة المقبضة، كأنها ولدت للظلام..

(من يدنو أكثر يحترق.. تيه تاه.. واه.. أنا ابن النعمان

من يمشي وحده يموت.. تيه تاه.. واه.. في القبر ينام ويموت

من يدنو أكثر يحترق..)!

دقـات قلبها تكاد تقفز منتزعة لحم صدرها.. تدنو منه وتصرخ في وجهه كي يصمت: - لا تقل هذا.. لا تغنِ تلك الأغنية.

تمسك بها (مريم) وهي تضيف:

- ما بك يا (سمية).. دعيه يغني.. ما بك؟!

تتركهم وتركض كي ترى الأمر.. تنظر من خلال بئر السلم، لتجد الجمع يحاول اقتحام شقة السيدة جارتهم!

تهبط ببطء كي ترى ما الأمر.

الشرطة تقف لتمنع أي أحد من الاقتراب.

إنه حادث.. بكل تأكيد حادث.

سمعت تلك الكلمات من البعض، لكن أحدهم خرج وهو يقول: - لقد شممت رائحة الحريق، لذا كان لا بد من أن أتصل بكم.

نظرت إلى باب شقة جارتها إياها، فوجدته مفتوحًا، ويحتشد القوم داخل شقتها.

تدنو بتؤدة، وترى المشهد عن قرب.

كان المشهد مريعًا بالفعل.

تسمع كلمات الأغنية قادمة من شقتها.. من (حسن) الذي ما يزال يدندن كلماتها: (من يدنو أكثر يحترق.. تيه تاه.. واه.. أنا ابن النعمان

من يمشي وحده يموت.. تيه تاه.. واه.. في القبر ينام ويموت

من يدنو أكثر يحترق..)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت السيدة محترقة.. محترقة وحدها عن آخرها..

- ما الذي حدث؟

تقولها للرجال الذين يحملون الجثمان، فيقول أحدهم دون أن يتوقف: - كما ترين لقد احترقـت وحدها.. الشقة كما هي لـم تمس بسوء! أقسم إنني لم أر مثل هذا من قبل!

تسمع الكثير من الحوقلة والبسملة..

تترك المشهد كله، وتصعد ببطء وهـي تمسك الدرابزيـن الخشبـي الخاص بالدرج كي لا تسقط من هول الصدمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تدلف إلى الشقة وهي تقول وهي تنظر إلى (حسن): - لقد احترقت السيدة.. لقد احترقت السيدة..

تنظر إلى (مريم) التي ذهبت إليها:

- من التي احترقت؟

- جارتنا.

تنظر إلى (حسن) وتضيف:

- أقسم إنه من فعل.

- أجننت يا (سمية).. لا.. بكل تأكيد أنت تمزحين إن أعصابك قـد تلفت بالفعل.

قالتها ثـم نظرت إلـى (حسن) وهـو يجلس ويهــز قدميــه علـى المقعـد وتضيف: - لا بد أن عقلك قد خف من جراء عدم خروجك، لا بد أن يأخذك (يحيى) ويخرج بك. سوف آخذ أنا (حسن) ليجلس معي يومين، استريحي أنت فيهما.. اخرجي مـع (يحيى) ودعي (حسن) يلعب مـع (ريـم)، ربما لأنـه وحـده قد تبدلت أخلاقـه.. سيتغير.. أعدك أنني سأعيده لك وقد تغيَّر. فقط أحضري لي ملابسه وبعض ألعابه التي يحبها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(مريم)

1

إن (مريم) كما تعلمون سمراء نحيلة بعض الشيء، على عكس (سمية) بالفعل، لم تكن تحب الرجال حتى رأته في مكان عملها.

آه عملها.. إنها تعمل فـي إحـدى الشركـات الخاصـة المكونـة مـن طابقين أحدهما فوق الآخر في إحدى البنايات، شركة تعمل في مجال التجميل والزيوت العطرية وغير ذلك.

من ناحية شكلها فهي ليست منفرة كما ترون، هي سمراء لكن وجهها مثل الفراعنة الأوائل فهو منحوت كما يقولون؛ شعر أسـود فاحم تواريـه بإيشارب يواري نصفه الأسفل أما نصفه الأعلى فيراه الجميع.

تزوجت شقيقتها (سمية) وتركتها وحدها في بيت والدها.. والدتهما ماتت بعد زواج (سمية) بعام أو أكثر، وبقيت وحدها حتى رأت ذلـك الرجـل الـذي يمشي وسـط الجميع والجميع يحترمونـه ويحبونـه، لقد كسب احترام وحـب الجميع من اليوم الأول في الشركة، بدأ يدنو منها بحكم العمل، ثم بدأت نواة الحب تكبر، وتزوجا.

أنجبت منه (ريـم)، ثم مات في حادث سير، حزنت بعده كثيرًا ثم عادت الحياة كما كانت، وصارت تعيش في شقتها وحدها، كانت تطل على والدتها من حيـن إلـى الآخر، قبل أن يتوفـاهـا الله في فراشها عن عمر يناهز الستين وأكثر.

وهكذا لم يتبق لها إلا (ريم) وشقيقتها (سمية) وذلك المرض الذي هجم عليها كالوحش المفترس، صحيح أن والدتها - رحمها الله - كانت تحمل ذات المرض، لكن (مريم) لم يخطر على بالها ولو للحظة أن يهاجمها ذات المرض، إنـه السكري، وليس المرض الخبيث كما حسبت. لذا ترى تلك العلبة لا تفارق حقيبتها وبعض قطع الحلوى أيضًا.

أخذت (مريم) الطفلين (حسن) و(ريم) وعادت إلى شقتها.

أجلستهما بعد أن أبدلت ملابسهما، وبدأت في إعداد العشاء بعد أن خلعت بعض ملابسها كي تأخذ حريتها.

أجلست الاثنين وأخذت تنظر إليهما معًا.

هل تحلم من الآن أن يكبرا ويتزوجا؟ ربما.

هنا لاحظت شيئًا غريبًا!

إن (حسن) لا يتحدث إلى (ريم) هو لا ينظر إليها من الأساس! صحيح أن (ريـم) صغيرة في السن فهي طفلة بالنسبة له عمرها سنة وأشهر، لكن كيف لا يتحدث إليها أو حتى ينظر إليها وهذا ديدن الأطفال؟!

إنه يتحدث أو بالأحرى يتمتم بصوت خفيض موجهًا حديثه إلى لا شيء.

تركته ودلفت إلى المطبخ مرة أخرى كي تكمل إعداد العشاء، وهي تتمتم (غريب هذا!!).

قالتها وفتحت حقيبتها وأخذت مـن علبة الـدواء حبتين، ثـم وضعتها فـي الحقيبة مرة أخرى.

في تلك الأثناء كان (حسن) ينظر إلى الحقيبة وإلى (ريم).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالطبع سنتخيل المشهد الذي حدث لأن (مريم) لم تشهده لأنها كانت تعد العشاء كما تعلمون.

نهض (حسن) من فوق المقعد، وذهب إلى الحقيبة، وضع يده داخلها وبحث عن مبتغاه حتى وجده، أخرج العلبة، وخبأها بين طيات ملابسه.

خرجت من المطبخ ووضعت الطعام على المائدة، أطعمت (ريم) وأدخلتها غرفتها بعد أن بدأت في النوم، أطعمت (حسن) بدوره ثم أدخلته في الفراش بجانب (ريم).. بعد أن نام، أو لنقل بعد أن تظاهر بالنوم.

نهضت ودلفت إلى الحمام لتأخذ حمامًا باردًا يذيب كـل ما حـدث في ذلك اليوم.. دخلت ثم أغلقت الباب من الداخل، ونزلت في المغطس وقد وضعت سماعة الأذن في أذنيها، وشغلت الموسيقى، وبدأت في أخذ حمامها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كما تعلمون أنه نهض، وترك الفراش، نظر إلى (ريم) النائمة ثم خرج إلى المكان الذي خبأ فيه علبة الدواء بعد أن أخرجها من طيات ملابسه، ابتسم في خبث واضح، وهو ينظر إلى (ريم) ويتجه إليها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

في تلك الأثناء كانت (سمية) تنظر إلى الفراش، لقد أعدت الطعام لزوجها، ثـم جلست تشاهـد التلفـاز، تتذكر ما حـدث وتشرد فيـه.. الحريـق الـذي أَلَـمَّ بالسيــدة الأولى، والحريــق الـذي أَلَـمَّ بالسيدة جارتهم، وما فعله (حسن)

بأقرانه، ثم تفيق وتعود لتشاهد التلفاز، وهكذا مرت ساعة كاملة أو أكثر وهي على تلك الحال تشاهد وتشرد، حتى تذكرت الفراش.

تذكرت الكلمات مرة أخرى..

بقعة أشبه بالدماء!

لذا تركت جهاز التحكم عن بعد، ونهضت إلى الغرفة.

باب الغرفة مغلق مرة أخرى، فتحته، وكانت الرائحة لا تطاق بالمرة.

أمسكت أنفها، وأخذت تسعل، وبيد مرتجفة رفعت الفراش بأكمله حتى ظهرت الأرض وكان المشهد لا يصدق ولا تطاق رائحته كذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقفت دقيقة ترتجف فقط ولا تلوي على شيء، وقفت ترتجف وتبكي، ما هذا الذي تراه؟ ومن أتى به؟ كيف يكون ابنها؟

كانت ترى الكثير من العظام المتعفنة، والدود، وأسفلها بقع دماء متخثرة!

ما هذا؟!

خرجت وأغلقت خلفها الغرفة وهي تبكي.

سوف تخبر (يحيى) وليكن ما يكون، سوف تخبره بما حدث كله، ولتريه كل هذا.

هنا تذكرت شقيقتها (مريم)، هرعت إلى الهاتف واتصلت بها، لكن أتاها الصوت الذي تكرهه (الهاتف غير متاح الآن).

ضغطت الزر، وقد عزمت على الذهاب إليها الآن.

أبدلت ملابسها، ووضعت هاتفها في حقيبتها، وأخذت المفاتيح ونهبت الدرج نهبًا، أوقفت سيارة أجرة وأملت عليه العنوان.

انطلق الرجل إلى العنوان الذي أخذه، وهي ما زالت تحاول الاتصال بـ (مريم)، لكن الرسالة ما زالت تأتيها (الهاتف غير متاح الآن).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

يقف (حسن) أمام الفراش الخاص بـ (ريم) وينظر إليها، ويبتسم، يضع في فمها حبات الدواء الخاص بأمها، فتحاول هي أن تبصقه، لكنه يمسك بفمها

ويحاول وضعه لها رغمًا عنها، ثم بدأ في كتم أنفاسها بكلتا يديه، حتى لا تحاول الصراخ.

أخـذت الطفلة تحاول الصراخ وتضرب بقدمها يمنى ويسرى، حتى هـدأت حركتها إلى الأبد.

كانت عين الفتى أقرب إلـى الدماء، أخـذ نفسًا عميقًا ثـم خرج من الغرفة بعد أن لملم علبة الدواء، وبعد أن تأكد أن (مريم) لم تخرج بعد، وضع العلبة داخـل الحقيبـة، ثــم جلس ينتظر (مريــم) على المقعـد المقابـل للحمام، بعد أن تناول قلمًا مـن فـوق المنضدة وظل ممسكًا به في يديه حتى خرجـت (مريم).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خرجـت (مريـم) وهـي تدنــدن الأغنية التـي تسمعهـا، وتجفف جسدها بالمنشفة، فوجدتـه يجلس ويرتعد، فارتعدت هي الأخرى من وجوده، قفزت مفزوعة، وهي تصرخ فيه: - ما هذا؟ كيف أتيت إلى هنا؟ أقصد لماذا تجلس هكذا؟

- لا أستطيع النوم وحدي.. حاولت لكن لم أستطع لأنه قد أتى إليَّ!

جثت (مريم) على ركبتيها، وهي تمسك بكتفه وتسأله: - من هذا الذي جاء إليك؟ هاه؟

- إنه أبي، وأخي.

- أبوك؟؟.. (يحيى) جاء إلى هنا؟!

قالتها ونهضت مفزوعـة مرة أخرى وهي تبحث بعينيها عن أي أحـد، لكنها لم تر أحدًا، لذا أكملت بعد أن جثت مرة أخرى على ركبتيها لتحدثه: - من هو الذي جاء؟ لا أحد هنا كما ترى.

- لا بل هما الاثنان هنا.. أنت لا ترينهما.. أقسم لك.

قالها فأضافت:

- حبيبي إن أباك في بيته مع ماما.

بدأ الغضب يتملكه وصرخ:

- أقسم إنهما هنا.. ليس عن (يحيى) هذا أتحدث، بل أبي الحقيقي.

- حبيبي.. إن (يحيى) هو أبوك الحقيقي إن لم تكن تعلم هذا.

قالتها وقـد تأكدت أن الفتى بعقله خلل جلي، لذا رأت أن (تأخذه على قد عقله) كما يقولون، وهكذا أضافت: - نعم نعم.. لكن أين أبوك هذا وما اسمه؟

نظر إلى ركن الغرفة، وأشار:

- إنه هناك.. واسمه (النعمان).

قالها وأردف بعد أن أخذت تنظر إلى ما يشير إليه: - أما أخي، فلن ترينه الآن لأنه داخلي أنا.

قالها بعد أن أحكم قبضته على القلم، ورفعه وغرس سنه في رقبتها حتى منتصفه بكل قوة!

كانت نظراتهـا مشدوهـة، تحاول التحدث لكن لـم تستطع، الدمـاء تخرج مـن فمهـا، تنظر إلى الفتى، غير فاهمة، يخرج القلم من عنقها، ويدخله مرة أخرى، وأخرى وأخرى، حتى وقعت على الأرض كالجوال، وسط بركـة صغيرة من الدماء أغرقت المنشفة والأرض.

مسح يديه، وأمسك بالقلم، وألقى به داخل المرحاض، وهوت عليه المياه.

ثم دلف إلى غرفة النوم، ودفع جثمان (ريم) بقدمه، حتى هوت على الأرض، ونام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4

خرجـت (سمية) مـن السيارة الأجرة ونقدت السائق الأجرة، ثـم هرعت على الـدرج حتـى وصلت إلـى شقة (مريـم).. أخـذت تَلْكُم الباب بقبضتها، مرارًا، لكن لا مجيب.

هنا رفعت هاتفها، واتصلت بزوجها (يحيى).

جاء صوته منهمكًا في العمل، لكنها صرخت:

- اترك ما بيدك الآن وتعال عند (مريم) حالًا.

قالتها وتركت الهاتف، وهرعت إلى الجار الذي يقطن أمام شقة (مريم) وأخذت تصفع الباب بذات القوة.

خرج الرجـل وهـو يسب مَنْ على الباب، كـان بمنامته، مسح عينيه بيديه حتى استطاع أن يرى مَنْ بالباب، ثم أضاف: - من أنت؟

- أنـا شقيقة (مريـم) التي تقطن هنا.. الحقيقة أنني أدق الجرس وأقرع الباب عليها ولا ترد.

كاد الرجل أن يسبها مرة أخرى، لكنه أضاف:

- سيدتي، ربما كانوا نائمين.. أو ربما لم يكونوا هنا.

- لا.. إنهم هنا.. أنا متأكدة.. لقد خرجوا من عندي إلى هنا، ولقد اتصلت بها أكثر من مرة، وهاتفها مغلق..

هنا بدأت تبكي، وقلب الرجل بدأ يلين، بدأ صوت بكائها يعلو، فخرجت سيدة تحك شعرها، يبدو أنها زوجة الرجل، وأضافت متسائلة: - من هذه يا (شكري)؟

- إنها شقيقة جارتنا (مريم).

- أهلًا وسهلًا بك.. هل تريدين شيئًا؟

قالتها السيدة إلى (سمية) التي قالت:

- أرجو مساعدتكما. فقط نحطم الباب.

- هذه جريمة يا سيدتي.

- لكني أختها وأنا من أذن لك.. أقسم إنك لن تُمس بسوء مهما حدث.

قالتها ثم أردفت:

- أرجوك.

وضعت السيدة زوجة الرجل يدها على زوجها، ونظرت له نظرة ذات معنى « أن افعل ».

لذا خرج الرجل من شقته واتجه إلى شقة (مريم)، دق الباب مرارًا وهو ينادي على من بالداخل، ثم بدأت دقاته تصبح ضربات، ثم أخذ يلكز الباب بكتفه، ثم تراجع إلى الوراء، وضرب الباب بقدمه ضربتين، فانفتح الباب على مصراعيه.

دخل الثلاثـة إلى الشقة، وكـان أول من رأوه هي جثة (مريم) التي كانت على الأرض غارقة في الدماء.

صرخـت السيدتــان، كـاد الرجـل أن يتقدم لولا أن وقـف متصلبًا وأمسك بالسيدتين، وهو يضيف: - إنا لله وإنا إليه راجعون، لا تلمسوا شيئًا حتى تأتي الشرطة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قالهـا، ثـم دلـف إلـى شقته، أحضر هاتفه واتصل بالشرطـة، وغطى جسد (مريم) بالملاءة.

هنا جاءت صرخـة (سمية) مرة أخرى من غرفة النوم بعد أن رأت جثمان (ريم) على الأرض.

دلف الرجل والسيدة زوجته ليجدا ما صرخت (سمية) بسببه.

كانت (سمية) تنظر إلى ابنها وتخشى أن تقترب منه، لا تدري هـل هـذا خوفٌ عليه، أم أنها خمنت أن كل ما حدث، له هو يد فيه؟

لهذا وقفت ترمقه فحسب، كانـت ترمـق صعود الفراش وهبوطـه فعلمت أنه حي يرزق.

جاء صوت الرجل (شكري) وهو يمسك (بحسن) ويضمه إلى صدره..

- من أنت يا صغيري؟ ما الذي حدث؟ الحمد لله أنك بخير.

- إنه ابني.

هكذا قالت (سمية) فناولها (شكري) الطفل، أمسكت به وهي تضيف، بعد أن توقفت عن البكاء: - ما الذي حدث؟ أخبرني.

نظر إليها وعيناه جاحظتان، وأضاف:

- أبي لم يُردني معها. فجاء هو وأخي وحدث ما حدث.

قالها في ذات الوقت الذي تدفق فيه حشد من رجال الشرطة إلى الشقة.

استقبلهم (شكري) وبدأ يقص ما حدث معه إلى ضابط المباحث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في تلك الأثناء كانت السيارة التي كانت تقل (يحيى) تتوقف أمام البيت، خرج منها وهرع إلى الشقة، وجـد باب الشقة مفتوحًا، لكن هناك حشدًا مـن رجال الشرطة، تقدم لكن أحدهم منعه.

- أستاذ (يحيى).

قالها السيد (شكري) إلى (يحيى) الذي تقدم إلى داخل شقة الرجل غير فـاهـم، فوجـد (سمية) زوجته تجلس على مقعد داخـل الشقة وقـد احمرت عيناها، وذهب صوتها من فرط البكاء والنحيب.

تقدم ناحيتها، وهو غير فاهم:

- (سمية) ما الذي حدث؟

- لقد ماتت (مريم) و(ريم). أحدهم قد قتلهما.

- ماذا تقولين؟! من الذي فعل؟ هل هو لص؟

- لا.

هنا تذكرت أن عليها أن تصمت لذا صمتت، وأضافت:

- يطلبون مني بعض الأقوال، سيأخذونها وسنعود إلى البيت، ووقتها سوف أحكي لك كل شيء.

قالتها ونظرت إلى (حسن) الذي كان يدندن:

(من يدنو أكثر يحترق.. تيه تاه.. واه.. أنا ابن النعمان

من يمشي وحده يموت.. تيه تاه.. واه.. في القبر ينام ويموت

من يدنو أكثر يحترق..)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جريمة أخرى

1

(من يدنو أكثر يحترق.. تيه تاه.. واه.. أنا ابن النعمان

من يمشي وحده يموت.. تيه تاه.. واه.. في القبر ينام ويموت

من يدنو أكثر يحترق..)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يسير (عاصم) ووالدتـه فـي المقطم باحثين عن ذلك العنوان الذي أعطته لهما (سمية).

تركب سيارة أجرة، وتعطيه العنوان.. يلف بهما ساعتيـن، ثـم ينزلهما عند بداية الطريق.. يقول السائق:

- أعتذر عـن التأخير.. وأعتذر عن عدم الدخول إلى ذلك الطريق، إنـه غير ممهد، أما عن العنوان فقد وصلتما تقريبًا، إن البيت الذي تقصدانـه في نهاية الطريق عند السفح تقريبًا. احذرا لأن المنطقة غير مضاءة.

قالها السائق وانطلق بسيارته وتركهما عند بداية الطريق.

كانت الساعة السابعة تقريبًا، لكن الليل بدا يسدل أستاره.

تقدم الاثنان، وسارا في الطريق إلى شقة (سمية).

الطريق بالفعل ليس ممهدًا كما قال السائق، فقد صدق الرجل، وبالفعل هو أيضًا غير مضاء، هناك عمود نور واهن، هذا صحيح، لكنه لا يفي بالغرض.

تتقدم هي وابنها، تنظر حولها كـي ترى أحدهم لتسأله عـن العنوان، فترى ذلـك الرجـل البديـن قليلًا، أصلع قليلًا أيضًا، العرق يملأ وجهه، تسأله، فيشير إليها أنها قد شارفت على الوصول، تشكره، وتواصل السير.

ها هي تلك البناية.

الإضاءة في المنطقة بالفعل ليست على ما يرام، المصابيح الموضوعة أمام البيوت ترقص بشكل غريب، ثم تنقطع الكهرباء عن المنطقة كلها.

يصرخ (عاصم) ويتمسك أكثر بوالدته، وهو يقول:

- أنا خائف يا ماما.

كـادت أن تقول لـه إنهـا خائفة بدورهـا، لكنهـا أمسكت بيـده، وأضافت مطمئنة:

- سوف تعود الكهرباء حالًا، لا تخف.

قالتها ثـم أخرجت مـن حقيبتها الهاتف، وأضاءت المصباح الخاص بـه، هنا صرخت، وصرخ (عاصم) بدوره، عادت الكهرباء، فلم يعد للسيدة أي أثر!

أخـذ يتلفت حـولـه، ثـم شرع يركض إلـى ناحية السفح، وهـو ينادي على والدته.

الكهرباء ليست على ما يرام والضوء ما زال يرقص.

يلتفت باحثًا عن زوجته، هنا يجده! يراه يقف يبتسم بذات الثقة.

- (حسن).. لقد كنا قادمين إليكم، و ...

هنا يفتح (حسن) فمه، وتخرج منه صرخـة مدويـة، وتتحول عيناه إلـى دماء.. وأصبح لا أثر للعين التي يعرفها (عاصم) أبدًا..

يرتجف (عاصم) ويبكي كأي طفل يحترم نفسه، ويتقدم منه (حسن)، ويحدث ما قد قرأتموه أنتم في الصفحات الماضية من تهشم رأسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(إبراهيم فتحي)

1

تبًّا لهذا الحر.

تبًّا لهذا الذباب، متى دخلت تلك الحشرات إلى المنزل، لقد أغلقت الشرفة منذ الصباح، فكيف دخل إلى الشقة وبات فيها؟!

إن تلك المخلوقات لكريهة حقًّا، إن كنت أحقدها على شيء فقد أحقدها على نسيانها، فهي تنسى كل شيء كل ثانية، لهذا تجدها تقف على أنفك مائة مرة في الثانية، فتجعلك تسب العالم بأسره.

أسمع صوت جاري (هيثم السلحدار) الذي نفذ صراخه إليَّ، يصرخ كعادته في ابنه (علي) مهددًا إياه بأنه سيلقي به في أقرب سلة مهملات، إن لـم يصر طفلًا جيدًا كباقي الأطفال الصغيرة التي تحترم نفسها، أو أنه سيضعه تحت أسفل الكوبري كي يتسول؛ لأنه لا يدرك مدى النعيم الذي يعيش فيه الآن، ثم يسب زوجته التي لا تصلح لشيء سوى تقشير المكرونة وسلق البسلة وعمل المحشي، هنا يأتي دور زوجته (رباب) التي تصرخ في الجميع.. فهي تحمل البيت على عاتقها وفوق رأسها، لا تكل ولا تمل، والآن جزاؤها السباب.. إذن فلتبدأ المعركة.

أترك أنـا كـل هـذا وأترك الشقة بأثرهـا، وأترك (هيثم) وزوجتـه، وأترك المروحة الصغيرة تئن كما هي، فلا فائدة منها سوى بعض الأزيز كأنها تساعد الذباب في عمله، أهبط الدرج مارًّا بشقة (هيثم السلحدار) التي ما زال صهيل الخيل والحرب فيها مشتعلة عنده.

الشارع.. الظلام.. الهواء.

عمود كهربي واهن يضفي جوًّا حزينًا على الطريق، أعبر الطريق الأسفلتي، وتطأ قدمي التراب.. إنها بداية سفح المقطم، فأنا أسكن في المقطم، إن كنت لا تعلم.

أتقدم بضع خطوات وأقف على الحافة ليلفحني الهواء.

لا بد أن القدماء كانوا يعرفون أهمية جبل المقطم.

ما هذا؟!

أدقق النظر إلى أسفل فأجد كومة من الذباب، حول جسد ما صغير، على ما يبدو لي أنها جثة حَمَل أو شيء يشبه هذا.

لا أعلم ما الذي جعلني أجلس على مقدمة السفح، واضعًا قدمي على الأرض التالية وأقفز إلى السطح الذي يليها حتى أصل إلى ذلك الجسد، أدنو منه أكثر فيتكاثر الذباب ويتكاثر الأزيز والطنين، أهشه بيدي هشًّا، فيتفرق، لكن سرعان ما يجتمع مرة أخرى صانعًا كومة من السواد فوق الجسد.

أجثو على ركبتي؛ لأتفقده.. إنـه جثمان طفل صغير، رأسـه مهشم تمامًا. الجثة طازجة والدم لم يتخثر كله بعد.

هنا لمحت ذلك الطفل من بعيد، لقد رأيته من قبل، لكن أين؟ لا أعلم.

لقد وقف أمامي وابتسم، ثم غادر.

نهضت كي أركض وألحق به، لكن هنا كانت الكثير من الكشافات تسلط على عيني لتعميني، إنها سيارات بعض الشباب الذين جاءوا ليشموا هواء المقطم.

لم تسعفني قدماي، ولم تتحركا، فقط صرخ أحد الشباب:

- انظروا.. لقد قتل هذا الرجل الطفل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

أجلس على دكة أمام باب خشبي جيد الصنع كُتب على الحائط الذي يجاوره (المأمور).

يمسك بي أمين الشرطة، الذي يدس هاتفه المحمول في جيبه:

- انهض أيها الرجل.. سوف ندخل إلى (عمر) بيه إنه يريدك.

دون أي كلمة أنهض ويقتادني إلـى غرفـة (عمر) بيه الـذي جلس خلف المكتب ينتظرني.

- أنت (إبراهيم فتحي)..

- نعم..

قلتها بعين ناعسة وفم تمنى الماء منذ ساعات.

ينظر إلى الأوراق التي أمامه:

- لماذا قتلت الطفل الصغير؟.. وأرجوك لا تنكر فقد شاهدك الجميع.. على حد علمي أنك محامٍ.. أقصد أنك محامٍ أُحلت إلى جدول غير المشتغلين.

- نعم أنـا محامٍ بالفعل، ولم أعـد أمارس المهنة.. أنـا لم أقتل أطفالًا، كل ما حدث هو أنني قَد رأيته وأنا على سفح الجبل ونزلت كي ...

قل هذا في تحقيقات النيابة.

- أقسم إنني لم أفعل.

- الجميع يقسمون.

- صدقني.. لكل قضية ركن مادي ومعنوي، وأنا ليس لدي دافع لقتل ذلك الطفل، وكيف سيكون لدي نية لقتله وأنـا تركت شقتي وكـل شـيء بها يعمل لأنني سـوف أعـود بسرعة ولن أتأخر، ثـم إنني لم أفارق البيت ببضعة أمتار، فلو كنت أريـد القتل لقتلته بعيدًا عـن بيتي وشقتي، أو ربما كنت فررت مـن أمام الشباب الذين اقتادوني إلى هنا.

ترك الأوراق التي أمامه، ونهض واضعًا يديه خلف ظهره:

- اسمعني جيدًا أيها الرجل، يبدو أنك محترم، كما هو واضح، لكن إن كنت تريد المساعدة فلتقل لي الحقيقة ولا تعبث بي.

- أقسم إنهـا الحقيقة، مكاني هنا خطأ كبير، فأنـا ابـن المستشار (فتحي الـ ...).

- أعلم هذا.. لكنهم شاهدوك إلى جوار الجثة.

- نعم إلى جوارها فقط، ليس هناك فعل أقوم به، ليس هناك أداة قتل، ليس ...

- أستاذ (إبراهيم) أعلم أن الوضع سيئ، لكنها جريمة قتل، وسوف تبيت معنا اليوم حتى يتم عرضك على النيابة غدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لا داعي لذكر ما حـدث لـي فـي الحبس الاحتياطي، ولا داعـي لوصـف تلك المناظر التي رأيتها، ولا داعي للخوض في كيف نمت وكيف أكلت أو كيف قضيت حاجتي؛ لأنها أمور تبدو معروفة للجميع.

على كلٍّ ذهبت إلى النيابة، وتم التحقيق معي، ولم يتم العثور على دليل واحـد ضـدي، وتم إخـلاء سبيلي بضمان محل إقامتي حتى يجد جديد، ووقتها يتم استدعائي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

خرجت من تلك الأزمة وقد تذكرت متى وأين رأيت وجه ذلك الفتى..

إنـه ابـن جارتي (سمية) وزوجها، لقد رأيته وقت أن كانت متهمة أو ليتم أخـذ أقوالها في قضية قتل السيدة العجوز.. لا أذكر اسمها ربما (فوزيــة) أو (فايزة)، كانت ذاهبة إلى القسم لتؤخذ أقوالها، وذهب معها زوجها، وكـان ذلك الصبي معنا.

جلست في شقتي بعد أن أخذت حمامًا أذهب كل شيء.. أمامي كوب من الشاي المغلي الأسود، دخانه الأبيض يدخل أنفي فيعبث بثنايا عقلي ويجعلني أفكر جيدًا.

تساؤلات كثيرة تقفز أمامي بلا إجابة واحدة.

من قتل الطفل؟ بل لماذا يُقتل طفل من الأساس؟ ما الدافع؟ الدافع نفسي بكل تأكيد.

لماذا كان ذلك الصبي الذي أعرفه في مكان الحادث؟ لأنه من قتل الطفل الآخر؟ ولماذا كان يبتسم لي هكذا؟ هل كان يعلم أنني سوف يتم اتهامي في قتله؟

السيدة العجوز التي تـم قتلها، وكتبت الجرائـد وقتهـا أن الفاعل ربما يكون قزمًا، هل كان طفلًا ولم يستطع أحد قول هذا؛ خوفًا من الرأي العام حتى يتم التأكد؟ (رباب) رأت طفلًا أو قزمًا قصير القامة يجر السيدة العجوز جرًّا حتى وصل به إلى السفح، ثم ألقاه من فوقه.

كل هذا يحتشد في رأسي دون تفسير.

دقات ساعة الحائط التي أمامي تكاد تخترق أذني، الهدوء قد جعل صوتها لا يطاق.

أنهض وأخرج إلى الشرفة ليلفحني الهواء.. أنظر من خلالها للمنطقة ولبنايتنا، والبنايـة التـي يحيـا بهـا ذلـك الطفل، هنـا يأتـي الحل كالصاعقة، هنا أتذكر كاميرات المراقبة التي يضعها (رجب بسطاوي) البواب الذي يحيا في الطابق الأرضي في بنايتنا، لقد عزمت على تركيبها للدواعي الأمنية؛ حيث إن (رجب) في تلك الأيام يسافر كثيرًا نظرًا لسوء حالة والده الطاعن في السن، لذا أصررت على تركيبها دون علم أحد، وأخبرت (رجب) ألا يُعلم أحدًا بها، بما أنني مالك البناية.

لـذا لم يخبر أحد الشرطة بوجودها؛ لأنهم لا يعرفون بوجودها من الأساس، فقط (رجب) وأنا، فلو كان (رجـب) موجودًا وقت حضور الشرطة لقال لهم كل شيء دون حتى أن يسألوه.

صحيح أن الرؤيـة ستكون صعبة نظرًا لضعف الإنـارة، لكن أعتقد أن تلك الفكرة ستفي بالغرض.

لكن (رجب) هذه الأيام على سفر، لكن من قال إنني أحتاج إلى (رجب)، فأنـا لا أريـده مـن الأسـاس أن يعلم ما الذي أنوي فعله، لـذا أمسكت المفتاح الاحتياطي الخاص بغرفته، وانتعلت حذائي، وهبطت الدرج.

أولجت المفتاح في باب الغرفة، وأدرته ودخلت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالداخل كانت الرائحة عطنة بعض الشيء لغلق المكان منذ فترة.

دلفت إلى الغرفة الصغيرة المصنوعة من الخشب، بعد أن انحنيت، جلست على المقعد الخشبي الصغير، وبدأت في إعادة الفيديو الخاص باليوم الذي رأت فيه (رباب) الجريمة..

لقد أخبرته أن تظل تلك الكاميرا مفعلة طيلة الوقت ولا يتم فصلها، الضوء الأحمر ما زال يعمل، والمونيتور الصغير يعمل كذلك بكفاءة، الإضاءة كما قلت واهنة لـذا كانت الصورة غير واضحة نـوعًا، أشير بالفارة كـي تتقدم قليلًا قليلًا مرة أخرى.. إذن هنا.

الهدوء ما زال يخيم على المنطقة، الليل يضيف هيبة على الموقف بأكمله.

هنا ومن مكان ما ظهر الطفل الصغير وهو يجر السيدة البدينة جرًّا.

فقط نظر إلـى الكاميرا واسـود كـل شـيء وانقطع الإرسال، ارتعدت للأمانة لكن أعدت الفيديو مرة أخرى لتلك النقطة فلم أجد شيئًا!

سـرت القشعريرة فـي عمـودي الفقري، وبـدأت أسنانـي تصطك ببعضهـا البعض.

ثم سمعت صوت باب غرفة (رجب) وهو يغلق.

انتفضت وقفزت فـي الهواء، وأطفأت النور، وخرجت مـن الغرفـة الخشبية لأجد الظلام، فتحت الباب، وخرجت من غرفة (رجب)، وصعدت إلى شقتي.

الآن اتضح لي كل شيء، لكن لا بد من عمل شيء واحد الآن..

نعم المواجهة.. سـوف أعـزم نفسي على العشاء عند (يحيى) و(سمية) وسوف ألتقي هناك بابنهما الذي نسيت اسمه، ووقتها سوف أتحدث معه.

بكل تأكيد لن أبلغ الشرطة، فلن تأخذ الشرطـة بكلامي، خاصـة فـي عـدم وجود دليل، الشيء الوحيد الذي كان يعد دليلًا هو الفيديو، والآن لـم يعد له

وجـود، ثم إنه طفل صغير، وسوف أقضي بكلامي هذا على مستقبله، لذا كان القرار الصائب هو التريث والمواجهة.

و أن أعزم نفسي عندهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ضابط وطبيب شرعي

1

أمسك (عمر) تقرير الطبيب الشرعي المبدئي، وهو يضيف لصديقه: - إن الأمور تتعقد.

- إنه يخبرنا أن سبب الوفاة هو الاحتراق الذاتي SHC.

- هذا هراء، هل هناك شيء كهذا؟

طوح (عمر) بالتقرير في وجه صديقه (أيمن) كي يراه بنفسه وهو يضيف: - اقرأ بنفسك. يقول الطب الشرعي إن هـذا حـدث نتيجة حـدوث تماس كهربائي داخل جسم القتيلة بأسلوب مجهول، مما أدى إلى حدوث تفاعلات نووية تسلسلية وبالتالي تولّدت طاقـة حرارية ضخمة مما جعل السيدة تحترق عن آخرها.

- هذا هراء بكل تأكيد.

نفث (عمر) في الهواء، ثم أضاف:

- على الأقل قد تم إغلاق تلك القضية، ولم يتم اتهام أحد فيها.

- هل أنت مقتنع بما تقول؟

- بكل تأكيد لا، لكن أنا أمامي أربع قضايا، لا حل لهـا، القرائـن كلها تشير إلى طفل صغير، ولا دليل واحد، والنتيجة هو أن يتم غلق المحضر، وحفظ القضية.

أشعل سيجارة، وأضاف وهو ينفث دخانها في الهواء ويرتب أوراقًا كتب فيها أسماء أشخاص واختصارات للقضايا: - أملي الوحيد في الطب الشرعي، في قضية الفتى الذي اتهمنا فيـه ذلك العجوز (فتحي) وقضية السيدة شقيقة (سمية) التي اتهمناها في قضية السيدة العجوز جارتها.. لا بد أن الغد سيأتي بجديد.

- والتقرير النهائي، لا تنسى أنه لم يتم إرساله بعد.

قالها (أيمن) إليه، لكنه أضاف بوقار مشيرًا لقصاصة موضوعة أمامه: - يجب علينا مراقبة المنطقة جيدًا، كما يجب علينا في أقرب وقت، التوصية بوضـع أعمـدة إنــارة لتنير تلك البقعة العمياء المشئومـة. أريـد أيضًا تركيب كاميرات مراقبة غير مرئية في تلك المنطقة حتى يتسنى لنا رؤية ما يـدور ليلًا عند السفح.

- وماذا بعد؟

قالها (أيمن) له بعد أن نهض فاردًا ذراعيه للأمام منفضًا عن عينيه نومًا قد هجم عليه بلا هوادة، فأجابه (عمر) شاردًا: - هذا كل شيء الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

أمسك (محمود وادي) الطبيب الشرعي القادم من محافظة البحر الأحمر منذ خمس سنوات وبضعة أشهر بالمبضع، وأخذ يشق جدار البطن الخاص بجثمان الصغيرة (ريم).

إنه متمرس - كما ترون - يساعده ذلك الفتى، حديث التخرج، ويناوله صينية وضع عليها الكثير من الأحجام المختلفة للمباضع، يختار هو واحدًا منها، ويبدأ عمله.. صحيح أن مسكة المبضع تلك لم تكن تروق له منذ سنوات، لكنه أَلِف العادة - كما تعلمون - فليست أول عملية جراحية كالثانية، وليس أول شق بمبضع كثانيه، هكذا يتذكر أباه وهو يودعه على أمل أن يكون طبيبًا أو مهندسًا.. ترك حبيبته التي كان يحبها بعد أن ملت الانتظار وتزوجت من ذلك الرجل الذي ورث عن أبيه مالًا عظيمًا، كان لا بد من أن يغادر البحر الأحمر بأكملها، بعد أن تخرج في كليته، وتم تعيينه في مصلحة الطب الشرعي بالبحر الأحمر، تقدم بطلب لنقله وكان ملاذه الوحيد هو تلك المدينة العابثة.. القاهرة، وهناك تخصص في قسم الطب الشرعي الميداني.

يشق جدار البطن والصدر لجثة الصغيرة (ريم) والعرق يتصبب منه، يضيف وهو يزيح بعض الزبد الرغوي عنها، وينظر للفتى الذي ينظر إليه بدوره منبهرًا: - هذا كله يشير إلى اختناق يدوي ظاهر بلا شك. نرى هنا زبدًا رغويًّا، وهذا حدث بعد نزوح سائلي من العروق الدموية إلى الحويصلات الرئوية، فتتجمع الحويصلات والأنسجة الرئوية محدثة اللون الأحمر هذا في تلك الأنسجة.

يصمت وينظر إلى الفتى ثم يردف:

- هذا يطلقون عليه (وزمة).. الغريب في هذا هو تلك الآثار الخاصة بالبصمات حول العنق وفوق الشفتين، إنها بصمات طفل، وهذا واضح من السحجات الظفرية والكدمات حول الأنف الخاص بالجثة.

قالها ثم أضاف وهو يمسك بملقط مدببة سنه، يمسك به قطعة صغيرة من الجلد المحشور في أظفار الجثة: - هذا ما كنت أبحث عنه.

- ما هذا؟

قالها الشاب متسائلًا، فأضاف مجيبًا، وهو يضع القطعة داخل صحن زجاجي صغير: - هذا الدليل.. هذه قطعة من بشرة الجلد، وهي ستقودنا للجاني الصغير وسنرى إن كان طفلًا أم قزمًا. لكن غدًا إن شاء الله.

قالها ثم أضاف وهو ينزع المعطف الأبيض عنه، ليرتدي معطف بدلته: - غدًا سوف يكون يومًا حافلًا، هيا بنا الآن. تعال معي سوف أوصلك معي.

ابتسم الشاب، وخلع معطفه هو الآخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

هبط درج المصلحة، وصعد سيارته، أدار المحرك، وانتظر الشاب الذي كان يهرع خلفه محاولًا اللحاق به، وبخطواته الواسعة، صعد بدوره هو الآخر إلى سيارته، وانطلق بها.

- ألا تنوي الارتباط؟

قالها للفتى الذي أضاف:

- الحقيقة أنا مرتبط بالفعل، إنها قريبتي، وفي ذات الوقت جارتي.

ابتسم هو ثم أردف:

- هل تحبك؟

- غريبة!

- ما الغريب؟

- غريبة أنك سألت هل تحبك، ولم تسألني هل تحبها؟

ابتسم مرة أخرى، ثم أضاف، وهو يشعل لفافة تبغ:

- ليست غريبة؛ إن كانت تحبك فسيكتمل حبكما بالزواج، أما إن كنت تحبها، فستتركك عند أول محطة يا صديقي، فقط يأتيها الرجل المناسب، والفرصة لا تأتي إلا مرة واحدة في العمر.

- لماذا تقول لي هذا؟

كاد أن يخبره أن هذه قصته هو، لولا الذي ظهر أمامه بغتة، مما جعل الشاب يصرخ مشيرًا إلى الأمام، نظر بسرعة إلى الأمام حيث يشير الفتى، فوجد ذلك الصغير الذي ظهر من لا مكان دون مقدمات!

أدار مقود السيارة مائة وثمانون درجة، فمالت السيارة على جانبها الأيسر، ثـم انقلبت مرتين فـي الهواء حتى خرجت عن الطريق وطارت وسط المقابر، وهمدت حركتها ثم اشتعلت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(حسن)

1

استغرقت (سمية) ساعات في التحقيقات، بكاء وانهيارًا وذهـولًا، ودهشة، وغير ذلك من المشاعر التي انتابتها.

صمت.. ثم هستيريا بكاء ونحيب..

أنهت التحقيقات، ثم عادت مع زوجها وطفلها.

دلفت إلى غرفـة نومها دون كلمة واحدة، دون أن تبدل ثيابها دخلت إلى الفراش وغطت نفسها وبدأت في الانتفاض والبكاء.

أدخل (يحيى) ابنه إلى غرفته وهو يربت على رأسه، ثم تبعها إلى غرفة نومهم.

دلف إلى جوارها، وأمسك كتفها وقبله وهو يضيف:

- هذا قضاء الله.. أحسن الله عزاءك.. غـدًا إن شـاء الله سـوف نقيم عزاءً كبيرًا.

- أغلق باب غرفتنا، وَضَـعْ على مقعد أمـامـه مصحفًا، ثـم ضـع على بـاب الغرفة قفلًا.

هكذا قالتها بلا مقدمات.

نظر إليها دون فهم، فأضافت:

- افعل ما أطلبه.

نهض لا يلوي على شـيء، أخرج مصحفًا مـن حافظة الملابس وضعه فـوق مقعد، وأغلق الباب، ووضع المقعد خلف الباب.

هبط الدرج وذهب إلى المحال، اشترى قفلًا متوسط الحجم، ورزَّة، وعاد إليهـا فوجدها قد غابت في سبات عميق، ربت على رأسها وقبلها، ونـام هـو الآخر ووضع القفل إلى جواره حتى الصباح.

لكنه فوجئ بصوتها:

- أرجوك ضع القفل الآن.

قالتها ونامت بعدها، فلم يجد مرة أخرى مفرًّا مـن تركيب القفل، ثم النوم بعد ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

بعد يومين من ذلك اليوم الذي خرج فيه وجلس في الخواء ليفعل ما يفعل، ينهض عـم (حامد) مـن فراشه، ناظرًا إلـى المرآة التـي وضعها أمـام الفراش تمامًا منتظرًا شيئًا ما.. لكن لا شيء.

يترك الفراش ويدخل إلـى الحمام، يضع رأسـه تحت الصنبور، وهـو يتمتم ببعض الطلاسم، ويرفع رأسه..

هنا يراه!

يرتعد ويحملق فـي سطح المرآة لذلـك الشيء الـذي ظهر لـه فجأة، يقف ينظر إليه وهو يرتعد كأن لسانه قد شُلَّ تمامًا، هل هذا هـو (الخديم) الـذي قالـوا عنه.. هـل هـذا هـو (الخديم) الذي كـان ينتظر ظهـوره كـي يخدمـه ويستخدمه؟

يغمض عينيه ويطبقهما بشدة ثواني ثم يفتحهما، فلا يجد شيئًا.

يخرج بسرعة مـن الحمام والماء يتساقط مـن رأسـه.. يمر أمام المرآة التي وضعها في غرفة نومه فيراه يقف، لكن هذه المرة يسمع ذلك الصوت: « لقد أزعجت كل الدار السفلى.. عالم الجن بأكمله قد انزعج منك ».

يقولها (الخديم) ثم يقول ناصحًا إياه:

- سـوف ترى مرور الجيوش السبعة للسلطان - يقصد سلطان الجن طبعًا - فلا تخف، واحذر أن ترد على من يكلمك منهم.

يقولها (الخديم) ثم يذوب ويتلاشى.

هنا يجثو عم (حامد) على ركبتيه، لكن سرعان ما يرى الهول ذاته..

بمجرد أن انسحب (الخديـم) تمر الكتائب السبع، أمـام عـــم (حـامـد) وهي مكونة من الأفاعي والعقارب والحيوانات المتوحشة، يليها السلطان فوق جواده.

ينظر (عـم حـامـد) إلـى كـل هـذا، فيسمع صوتًا يأمره أن يمسك بفرس السلطان مـن لجامها، فيهرع رغمًا عنـه ويفعل، ثـم يجثـو على ركبتيه معلنًا التماسه بأن يدخل عالم السحرة.

بعد انتهاء جميع المراسم يُغشى على عم (حامد).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يقوم عم (حامد) ورأسه يؤلمه، يحسب أن كل ما مر به ليس سوى كابوس، لكن يرى دخانًا أبيـض يزداد شيئًا فشيئًا ليتحول ثعبانًـا، ثـم لا يلبث أن يتحول بـدوره مرات عـدة، ليأخذ أشكالًا مختلفة، ثـم يصبح في النهاية شابًّا جميل الخلقة، يحمل فـي يـده سكينًا ويسمع صوتًا شديد الوقـع كأنه فحيح الثعابين يقول: - قل ما تريد فأنا طوع لك و(خديم).

يصمت الشاب هـذا ليتحول إلـى جني قصير القامة يحمل قرنين صغيريـن ثم يضيف: - أنا من آل (النعمان). واسمي (النعمان).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد هذا بسنوات..

نرى ذلـك العم (حـامـد) ونرى (سمية) جالسة أمامه، معها تلك السيدة العجـوز، هـي والدتهـا كما هـو واضـح مـن قسمات وجههـا الـذي يشبه ابنتها (سمية) إلـى حـد كبير، لكن عامل السن والسنوات قـد حفرت على وجهها، تلكم العلامات كأنها تقول لها أنا مررت من هنا.

تقول والدة (سمية) وهي تمسك بيد ابنتها:

- يا شيخ (حـامـد) كما أخبرتك (عفاف) جارتي نحن هنـا لأن (سمية) تريـد (الخلفة) تريد الولد. سنوات كثيرة وهي متزوجة ولا حمل. أنت تعلم يا مولانا طبيعة الرجال سوف يتركها إن لم يكن اليوم فغدًا.

- كله بأمر الله. سوف نفعل ما نقدر عليه وسوف يتم المراد، لكن ما نقوله ينفذ بالحرف الواحد.

قالها ثم وضع حفنة بخور فـي المبخرة التي زادت نارها أمامه، وبـدأ فـي التمتمة ببعض الطلاسم، ثم أخذ يصرخ كالمجنون بصوت مرتفع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هنا نهضت (سمية) مفزوعة، وهي تلهث، فنهض (يحيى) بدوره متسائلًا: - خيرًا.. هل بك مكروه؟

- كح كح.. كح.. لا شيء، مجرد كابوس.

- الحمد لله.

قالها ونهض وأحضر لها كوب ماء، جرعته وعـادت إلـى النوم.. أو هكذا تظاهرت، حتى نام هو، وظلت هي محدقة في الظلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في ذلك الوقت تقريبًا كنت أحاول الاتصال (بهيثم السلحدار) كي يملي عليَّ رقم (يحيى)، بالطبع كانت عملية شاقة وخاصة أنت تعرف الناس وتعرف استفساراتهم، والكلمة الأولى والأخيرة هي (لماذا؟).. وكان عليَّ أن أخترع الأكاذيب، فقط أريــد أن أطمئن عليهم بعد زيارة القسم.. « لماذا لـم تطمئن عليَّ أنا أولًا أنا و(رباب) فالجار أولى بالشفعة والأقربـون أولى بالمعروف؟ » ثم صرختُ فيه أن يملي عليَّ الرقم فأملاه عليَّ غير قانع بما قلته، وله الحق؛ فأنا لا أعلم كيف أكذب فأنا فاشل جدًّا في هذا.

أخذت الرقم واتصلت به في الصباح، جاء صوته المنهك دائمًا: - أستاذ (شوقي).. أهلًا بك.

- أهـلًا وسهلًا أستاذ (يحيى) لكن اسمـي (فتحـي) إن كنت تقصدنـي. (إبراهيم فتحي) جارك، الذي ...

كدت أذكره بنفسي وبالمعروف الذي أسديته له ولزوجته، لولا أنه قاطعني: - نعم نعم، أنا.. أنت تعلم أخطاء الهواتف التقنية.. ربما ...

- أعرف هذا بكل تأكيد، كيف حالكم؟ أنت والمدام؟ والكتكوت الصغير؟

- بخير حال.. وحضرتك بخير؟

- الحمد لله.. فقط كنت أطمئن عليكم.. فكيف نكـون جيرانًـا ولا نطمئن على بعضنا البعض؟

- نعم بالفعل.. أنت (صاحب واجب).

- شكرًا.

- العفو.

هكذا ستنتهي المحادثــة عند ذلك، ولـن أبلغ منه مقصدي، لـذا أضفت جملتي الأخيرة: - إذن سوف أنتظر زيارتك أنت والأولاد.

- لا بل أنت من لا بد أن يفعل.. فأنت تحيا وحدك، على ما أتذكر.

حسنٌ لقد ابتلع الطعم، لذا أضفت مباغتًا إياه:

- حسنٌ أنا موافق على عزومتك.. متى؟

- اا.. مم..

تلعثم تلعثمًا شديدًا، ثم أضاف:

- أي وقت.

هكذا ابتلع الطعم عن آخره، لذا أضفت مرة أخرى مباغتًا: - إذن اليوم بإذن الله مساءً بعد العشاء، فخير البر عاجله، هل هذا مناسب؟

- اليوم. ا.. ن.. سو.. نعم.. سننتظرك..

هكذا لم يجد مفرًّا من الموافقة على عزومة تم تلفيقها له.

فعلت هذا بنجاح، ثم أغلقت الهاتف حتى لا يتم الاعتذار، فأنا أعرف تلك الألاعيب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4

في الصباح نهض (يحيى) وغادر إلى عمله، أما (سمية) فما زالت تحلم فقد خرجت من كابوس إلى كابوس أشد وطأة من الذي قبله.

كانت ترى نفسها نائمة.. غريب أن يرى الإنسان نفسه وهو نائم، وهذا في التفاسير يدل على حالتها بالفعل، وهو الانفصال عن الواقع ومحاولة تجاهل أمور تحدث في الحياة..

تنظر إلى نفسها هي ملاك بالفعل، ملاك أنهكته الحياة والزواج وابن صار أقرب إلى الشياطين. تنظر إلى نفسها متأملة، ثم ترى الدماء التي تسري منها مغرقة الفراش، ترى نفسها تستدير حتى تنام على ظهرها، السرير يعلو ويهبط ثم الكثير من الدماء التي أغرقت الفراش بالكامل، تحاول النهوض، دقات قلبها تكاد تجعله ينفجر، ترى نفسها وهي تنهض فاردة ذراعيها ثم تنظر إلى نفسها وهي واقفة أمامها فتطلق صرخة مدوية، فتنهض (سمية) وتعود إلى أرض الواقع.

هنا ترى (حسن) يقف أمامها كالجاثوم ويبتسم، فأطلقت صرخة مدوية أخرى.

ونهضت مغادرة الفراش، وهي تسبه، وتحاول ضربه، لكنه كان قد تلاشى من الغرفة.. اختفى كأنه لم يكن واقفًا من ثوانٍ!

رأسها يؤلمها، لم تعد تعرف هل كان هو بالفعل أم أنها صارت تهذي.. أمسكت المصحف واحتضنته، بحثت عن (يحيى) فلم تجده، فعلمت أنه قد غادر.

خرجت من غرفتها لتبحث عن (حسن) الذي اختفى من أمامها، ودنت من غرفته وكادت أن تفتحها.. لولا أن باغتها صوت هاتفها المحمول، انتفضت، وهرعت إليه لتجيب.

كـان صـوت زوجهـا (يحيى) الذي أخبرهـا أن هنـاك ضيفًا ثقيلًا قـد عـزم نفسه لديهم مساء اليوم بعد العشاء.

واطمأن عليها وعلى ولده، ثم أغلق الهاتف.

أغلقت هاتفها ثم تقدمت مرة أخرى ناحية الغرفة.

وضعت أذنها على الباب الخشبي، فسمعت صوتًا كأنه أنين!

فتحت الباب بسرعـة، فوجـدت (حسن) يقف يعطيهـا ظهره، لكنه كـان منهمكًا فـي الأكـل، كـان الصوت المنبعث منه وهو يأكل أشبه بصوت تحطيم العظام، كـان يلتهم بشهية وسـط ذلك الصوت وليمة لا بأس بهـا مـن العظام والدود الذي رأته هي أسفل فراشه من قبل..

كادت أن تصرخ لولا أن وضعت يدها على فيها، وظلت تشاهده.

نظر إليها بوجـه صـار شاحبًا ثم أخذ يقيء دمًا وقيحًا! عيناه صارتا بيضاء تمامًا، ثم وبصوت غليظ خرج من فمه قال: - إنه ابني أنا وليس له الحق فيه.. إنه منا وليس منكم.

ثم صرخ فتناثر الذباب في الهواء، أغلقت هي الغرفة، وهي تهش الذباب وتضربه بكلتا يديها وهي تصرخ، ثم وللحظة لم يعد الذباب موجودًا!

تهاوى جسدها على الأرض وغابت عن الوعي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نهضت وكل عظمة من عظامها تؤلمها، رأسها يكاد ينفجر، دنت من المائدة وتناولت الهاتف، طلبت رقم زوجها.

جاء صوته كاد أن يضيف شيئًا، لكنها لم تعطه الفرصة، فقط أضافت: - أريدك الآن.. الآن يا (يحيى). لا أسئلة، اترك عملك وتعال إليَّ فورًا أنا أحتاجك.

وهكذا لم يجد مفرًّا من أن يترك عمله ويعود إليها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلف إلى الشقة فوجدها جالسة على المقعد وتحتضن المصحف، وعيناها دامعة.

جلس على ركبتيه وهو يربت على يديها:

- ما بك؟ هل حدث مكروه؟

- أريد أن أتحدث إليك.

- ماذا حدث؟ لقد تركت عملي.

- لا تقل عملك.. أنا وابنك الذي.. (قطعت كلامها) نحن أهم من أي شيء.. أنـا وهـو نحتاج إليـك. أنـت ليلًا ونهارًا لست معنا، أنـت لا تعرف شيئًا عني أو عنه.

- أنا أؤدي واجبي تجاهكما.. العمل ...

- مرة أخرى تقول العمل.. صدقني ليس هو كل شيء..

قالتها وأضافت:

- (يحيى) لقد تبدل (حسن) فلم يعد هو.. لقد صرت أخشاه! لقد ...

- تقصدين تخشين عليه.

- بل منه.. أخاف منه.. أخشاه هو ذاته!

- لا أفهم.

- ولن تفهم؛ لأنك لست معنا، لقد صـار شيئًا آخر غير ابني الذي أعرفه.. لا أعرف ما الذي أقوله لك.. لكن صدقني..

قالتها ونهضت متجهة إلـى غرفـة (حسن) وفتحتها فلم تجد شيئًا، الغرفة هادئـة تمامًا. صرخت في (حسن) كي يغادر فراشه، فغادره وتكوَّم في ركن الغرفة خائفًا يرتعد. وسط نظرات (يحيى) المتعجبة مما يحدث.. رفعت الفراش بالكامل وقلبته رأسًا على عقب بحثًا عن أي شيء، لكن لا شيء!

أخـذت تصرخ وتصرخ، وشعرت وقتهـا أن العالم بأثره يـدور مـن حولهـا، فتركت نفسها لتهوى على الأرض وتغيب عن الوعي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أحضر لها (يحيى) طبيبًا، فأخبرهم أنها تحت ضغط نفسي وعصبي شديد، ويجب عليها الراحة، والأفضل أن تخرج لتغير جوًّا.

شكره (يحيى) ونقده مائتي جنيه، وانصرف الطبيب بعد أن ناوله بدوره روشتة العلاج التي تحتوي على مهدئ وأمبولات للحقن للأعصاب.

جلس (يحيي) إلى جوارها بعد أن أفاقت، أمسكت رأسها، وهي تضيف: - أقسم إنني لا أهذي.

- شششششش. دعينا لا نتحدث في هذا الآن.

قالها ثم أضاف:

- حاولت الاتصال كثيرًا بذلك الرجل جارنـا كي أعتذر لـه لكن هاتفه غير متاح.. مائة مرة وهاتفه غير متاح.. لذا لا مفر من عزومته.

- لا تعتذر له.. هذا الرجل وقف إلى جوارنا في موضوع القِسْم إياه، دعه يأتي ولنغير قليلًا من ذلك الوضع الرتيب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ضيف ثقيل

1

أخـذت بعضي وذهبـت إلـى الزوجيـن بعد أن ابتعت الكثير مـن الفاكهة وزجاجات المياه الغازية (لزوم) العزومة.

كان السلام باهتًا وهـذا ما توقعته بكل تأكيد فأنـا بالنسبة لهم ذلك الضيف الثقيل السمج، لكن أنـا هنا لست بصفتي ضيفًا بل بصفتي باحثًا عن الحقيقة التي وضعت بسببها في الحبس وأنا ذلك الرجل المحترم.

كانت الزوجـة (سمية) ودودًا بحق، أما عـن اللقاء ذاتـه، فلم تمر نصف سـاعـة تبادلنا فيهـا السلام والسـؤال عـن أحوالنا حتى صرخ (يحيى): « أين العشاء يا (سمية)؟ ». هكذا هـو يحاول أن يجعلني (أطفح) ثـم أغــور بعد ذلك فـي ستمائة داهية.

أخـذت أتناول العشاء الـذي جلبوه جاهزًا، وجلست أرقـب الطفل الصغير الذي علمت أن اسمه (حسن) عندما جاء ليسلم على عمو (أنا).

جلست أرقبه عن بُعد، والغريب أنه كان هو الآخر يراقبني بتلك النظرة الباردة التي تشي بأنه يعرف كـل شـيء.. كنت أدس رأسي في الصحن الذي أمامي، وأعود بنظري إليه فأجده ينظر ذات النظرة!

عند لحظة ما توقفت عن الطعام بداعي أنني قد انتهيت، نهضت وطلبت الذهاب إلى الحمام، فنهض معي (يحيى) بيد ملوثة بالطعام، اقتادني إلى الحمام فدخلت، وذهب هو.

لحسن الحظ كـان الحمام بعيدًا عـن الصالة، لـذا بمجرد أنني سمعت وقع أقدامه تغادر حتى هممت بالخروج من مخبئي..

خرجت ودقات قلبي تتلاحق كأنني لص لأول مرة، بعين خبير بحثت بسرعة عن أية علامة تدل على غرفة الطفل، لكن لا شيء، لذا دلفت إلى الغرفة الأولى وكانت مفتوحة..

بالداخل نظرت نظرة شاملة على الغرفـة فاستوقفني ذلـك القفل الموضوع على الباب، هذه غرفة نوم الأبوين هذا واضح، لكن لماذا يضعون ذلك القفل؟! شيء غريب. التفت باحثًا عن الباب فوجدت الطفل (حسن) يقف وينظر لي تلك النظرة الخبيثة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتفض قلبي وتواثبت دقاته، حاولت التماسك، وهممت أن أقول شيئًا لولا أن قاطعني: - أعرف لماذا أنت هنا.

كدت أن أرد عليه لولا أنه أردف:

- جرب وقل إنك رأيتني وسوف أجعلك تذهب إلى والديك.

حسنٌ هذا الفتى يعرف أنني أعرف أنه من فعل تلك الجريمة، هذا جميل، لكن لماذا أنـا أنتفض ذعرًا هكذا، بكل بساطة لأن ذلك الصغير يهددني بأنـه سيرسل بي إلى والديَّ هكذا بكل بساطة.

بصوت يرتجف أضفت متحاملًا:

- حبيبي ما الذي تقوله؟! أنا عمو!!

هـذه المرة لـم يكن ودودًا على الإطلاق، فخرج من فمه ذباب كثير كالذي يحدث في أفلام الرعب والخيال العلمي. كدت أصرخ لولا أن وجدت من وضع يده على كتفي، انتفضت مذعورًا، وأنا أبسمل وأحوقل، والتفت لأجد (يحيى) يقف وينظر لـي نظرة متسائلة: أي لماذا أنت هنا، فقد تركتك منذ قليل فـي الحمام؟!

ابتسمت في بلاهة، وحاولت البحث عن كذبة كي أقولها لتبرر سبب وجودي في غرفة نومه، لولا أن قاطعني الصغير الذي أخذ يبكي: - بابا.. هذا العمو وجدتـه يسرقنا.. وعندما دخلت عليـه صفعنـي وكتم أنفاسي.

حاولت أن أبرر موقفي، بأن ابنه ليس على ما يرام، وأنه هددني بأن يرسل بي إلـى والـديَّ، لولا أن (يحيى) والحق يقال كـان حاسمًا، فقط أكمل طريقه وهـو ممسك إياي من كتفي حتى باب الشقة، وضعني بالخارج وسبني وصفع الباب فـي وجهي، وهـو يقول كلامًا عـن حـق الجيرة ومحاضر الشرطـة وآخر الرجال المحترمين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

(من يدنو أكثر يحترق.. تيه تاه.. واه.. أنا ابن النعمان

من يمشي وحده يموت.. تيه تاه.. واه.. في القبر ينام ويموت

من يدنو أكثر يحترق..)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحق يقال إنني لم ألَم (يحيى) لأنه ابنه، لكن هذا ليس طفلًا من الأساس، ظننت هذا واضحًا، هكذا لا مفر من أن أخبر الشرطة.

وبمجرد التفكير في هذا رن هاتفي.

أمسكت به فوجدت رقم (يحيى) حسبته يتصل بي كي يعتذر لولا أن سمعت الصوت من الجهة الأخرى كأن الشيطان ذاته يتحدث: - لقد حذرتك أيها الرجل إن وشيت بي فلا تلومن إلا نفسك.

هكذا جاء الصوت وهكذا أنهى كلامه وأغلق الهاتف وتركني أرتعد.

لم يأتِ في بالي وقتها إلا أن أرسل رسالة إلى (يحيى) وأخبره فيها بأن ابنه ليس ابنه، وأنه ليس طفلًا من الأساس، وأنه هو من ارتكب جريمة القتل الأخيرة، لولا أن عدلت عن تلك الفكرة، وعدلت عن رأيي كله وقلتها علنًا: « ليس لي ناقة ولا جمل ».

وهكذا جلست أشاهد التلفاز، لولا أن دق جرس الباب وكان يحمل لي مصيبة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نهضت وفتحت لأجد (حسن) في وجهي!

كان يبتسم ذات الابتسامة، لكن هذه المرة كان يمسك في يده سكينًا!

تراجعت إلى الخلف وأنا أنظر إلى يديه:

- ما هذا يا (حسن)؟! هل جننت؟

- بل أنت من جن.. لماذا وضعت نفسك وسط هذا أيها المغفل؟

هذا حقيقي، أنا مغفل بالفعل، كيف أرى جريمة ويتم اتهامي فيها ولا أحاول أن أكشف الجاني الذي رأيته بعيني؟!

طوح بيديه في الهواء تجاهي، فتراجعت بظهري وسقطت أرضًا.

حسنٌ هذه إذن معركة غير عادلة أنا ضد طفل ليس طفلًا.

كان يتقدم بثبات واضح، عندما باغتُّه بأن ضربت بقدمي قصبة قدمه فوقع على الأرض، بقبضة يدي حاولت لكمه لولا أن وقفت يداي في الهواء كأنني معلق كعروس الماريونت، ثم طرت تجاه النافذة وحطمت زجاجها الذي حطم ظهري، نهضت وأنا أتألم، وأمسكت بالمزهرية، وطوحت بها تجاهه، فطارت من خلاله وارتطمت بالباب.

- من أنت؟

قلتها له وأنا ما زلت أتألم، فأضاف بصوته الذي لا ينم عن كونه طفلًا أبدًا: - أنا ابن (النعمان) أيها الرجل!

قالها فأمسكت بمقعد خشبي، ورفعته وهويت به عليه فتحطم، هنا رأيت الدماء تسيل من رأسه، لكنه نهض وتقدم إليَّ.

في تلك اللحظة كان والده على الباب يقف ينظر إليَّ.

لا أعلم كيف ولا متى كنت أمسك بالطفل من تلابيبه، وفي يدي تلك السكين التي كان يحملها؟!

- أقسم إنني لم ...

لم يجعلني أكمل، فقط أضاف:

- أيها المعتوه كيف تُسول لك نفسك أن تختطف ابني.

قالها ثم لكمني لكمة في وجهي جعلتني أفقد الوعي تمامًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

بالطبع جاءت الشرطة واقتادتني إلى القسم، حاولت أن أقسم لهم إنني لم أفعل، لكن هيهات.

جلست ساعتين على دكة خشبية أنتظر مصيري وأفكر في حل لذلك المأزق، حتى رأيت زوجة (يحيى) آتية من بعيد.

طلبت الإذن في أن تقابل الضابط (عمر) ودلفت إليه، دقائق وأدخلوني أنا الآخر.

كانت جالسة على مقعد أمامه، وهو يُدوِّن شيئًا، ثم أضاف: - السيدة (سمية) يبدو أنها ترد الجميل، لقد تنازلت عن المحضر، وقالت إنها هي من أوصلت إليك (حسن) وأودعته عندك حتى تقضي هي بعض أعمالها في غياب والده، بالطبع أفهم أنا تلك الأمور، لكن على راحتك.

قالها وهـو ينظر إليَّ وإليها، نظرة ذات معنى خبيث، لكن لا يهم، المهم الآن هو أن أمشي من هنا.

وهكذا وقعت على المحضر ووقعت بدوري، وانصرفنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الطريق قالت غير ناظرة إليَّ:

- أعتذر لك بشدة على كل شيء.

- لا تعتذري.. هذا ما ظهر لوالـد الفتـى، ولـو كنت مكانــه لفعلت مثلما فعل، لكن ...

قاطعتني هي:

- أرجو أن نعود إلى بيتك ونتكلم هناك.

- بيتي؟!

- نعم.. إذا سمحت لي.

- مدام (سمية)!!

- أرجوك.

- ما دمت تريدين ذلك.

وهكذا ذهبنا إلى شقتي وجلسنا نتحدث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ما حدث

1

- من الممكن أن يرتكب المرء أخطاء كثيرة في حياتـه، لكن هناك أخطاء لا تغتفر، ولا يمكن تصحيحها أبدًا مهما حاولنا.

كانت تتحدث هـي إلـيَّ، وأنـا أجلس على الأريكة أحـاول تضميد جراحي ببعض الشاش والكحول.

- مـدام (سمية) أنا لا أفهم ما الذي تعنينهِ ثـم وجود حضرتك معي في الشقة لهو خطـأ كبير، لـو رآنـا أحـد سيصبح خطأً - كما تقوليـن - لا يغتفر، خاصة وأن لي سابقة مع زوجك.

قلتها فأضافت وهي شاردة:

- الحقيقة أنني اخترتك أنت بالذات كي أحكي لك كل شيء، فأنا مقطوعة من شجرة، وليس لي أصدقاء، وحتى إن كان فلن يعي أحد ما سأقوله، أما أنت فلقد رأيت بنفسك، لقد سمعت (حسن) وهو يهددك في غرفة النوم.

اعتدلـت فـي جلستـي، وبـدأت أنتبـه لكلامهـا، فالحمد لله أن هنـاك مـن يصدقني، فأردفت: - لقد تزوجت (يحيى) ولم يرزقنا الله نعمة الإنجاب، حاولنا كثيرًا أنا وهو لكن كانت كل المحاولات تبوء بالفشل.

أنت تعلم أن معظم العائلات تعتبر عدم إنجاب السيدة عارًا.

لهذا قررت أن ألجأ إلى إحدى الطرق السهلة.

هكذا قررت أن أذهب إلى شيخ.

قالتها وتنهدت:

- بالفعل ذهبت، وقد شجعتني فـي ذلـك والدتي رحمهـا الله، وهـي مـن اختارت الشيخ بعد أن أشار عليها البعض من كبار السن، ودلتها جارتنا في بيتنا القديم عليه.

ذهبت إليه أنا وهي، وحكينا لـه كل شيء، وبالفعل بدأ في معالجتي بتلك الطرق التي تعرفها، حتى نهضت في يوم ما، ووجدت الفراش بأكمله غارقًا في الدماء، حسبت أنها النهاية، لكن هذا كان بداية كل شيء، فالشهر الذي تلى ذلك النزيف كنت فيه حاملًا.. حاملًا في (حسن).

ومرت الأيـام وأنجبت، وبدأ (حسن) يكبر، وبدأت المشاكل في الظهور، وبدأ (حسن) يتغير، كأنه ليس من البشر.

- اعذريني على المقاطعة يا سيدتي، لكن ما معنى أنه كان؟ هل (حسن) كان طبيعيًّا؟

- نعم كـان طبيعيًّا جـدًّا، حتى بـدأ التغيير في تلك السنة في عام ميلاده السابع، وبدأ يقول إن والده سيأتي ليأخذه، وإن والده اسمه ...

- (النعمان)؟

- نعم، كيف عرفت؟!

قالتها بتعجب، فأردفت:

- لقد قال لي حين كان هنا إنه ابن (النعمان).

أضافت:

- أعلم أنك لم تفعل شيئًا، وأعلم أيضًا أنك لم تخطفه.

- مدام (سمية).. أنا رأيت ابن حضرتك وهو يرتكب جريمة قتل.

كنت أحسبها سوف تدهش، لولا أنها أضافت بكل برود:

- لقد قتل شقيقتي وابنتها، وقتل جارتين لنا. صحيح أنه لا دليل، لكن أنا أعلم أنه من فعل.

- هـذا جميل.. إذن لماذا تقولين لي كـل هـذا؟ هذا كيان ليس بشريًّا كما تعلمين، هل سأقف أنا أمامه؟!

قلتها لها، فأضافت وهي تبكي:

- أرجوك.. ساعدني.. أنا أعلم أنك لا ناقة لك في ذلك ولا جمل، لكن.. لقد حاولت أن أحكي لـ (يحيى) لكنه لن يصدق، والغريب أنه لا يرى ما أرى.

لقد رأيـت أسفل فراش (حسن) الكثير مـن العظام المتعفنة، حاولت أن أريها لـ (يحيى) لكنني لم أجد شيئًا.

- هذا واضح، فالأمر ليس طبيعيًّا، ودخل في أمور الميتافيزيقا.

بدأت تنشج، فنهضت واضعًا يديَّ خلف ظهري، وأنا أضيف: - أعتقد أن العظام هـذه تشي بأنـه ربما يكون من الجان؛ لأن الجان هــم من يتغذى على العظام، أو ربما كان غولًا، أما عن عامه السابع وأن أخلاقه لم تبدأ في السوء إلا بعد عامه السابع أو أنه بدأ في التغير منذ ذلك الوقت، فرقم سبعة هـذا لـه

دلالة رهيبة في كـل المجالات والثقافات، حتى في عالم الجن والسحر، اقرئي عن هذا وسوف تعلمين معنى كلامي، فهناك أساطير تقول إن الابن السابع لا بد أن يكون مصاص دماء مثلًا.

قلتها وتنهدت، وقد كونت فكرة عما يحدث، حاولت أن أبتلع ما فكرت فيه وتوصلت إليه، لكنني لم أستطع، لذا أضفت: - مـدام (سمية) مـن الواضح لـي أن هذا الطفل - إن سمحت لي أن أقول هـذا - هـو ابن غير شرعي بينك وبين أحـد مـن أهـل الأرض السفليين.. مـن الجان، أي أنه غير بشري، وليس ابـن أستاذ (يحيى)، وهـذا ما يقولـه الطفل نفسه.

توقفت عن البكاء وأردفت:

- هذا ما خمنته.

تنفست الصعداء لمرور كلماتي بردًا وسلامًا عليها، ثم أضفتُ: - الشيء الأول الـذي سنفعله هـو أن نذهب إلـى الشيخ الذي ذهبتِ إليه ولنسأله ما الذي فعله كي تنجبين.

قلتها فقالت لي وهي تنشج مرة أخرى:

- لقد ذهبت له، لكنه تم القبض عليه، وتم غلق شقته إلى الأبد.

- هـذا جميل، إذن لتتركي لـي الموضوع برمته، وسـوف أحاول.. سـوف أحاول (قلتها ضاغطًا على حروفها).. أن أجد حلًا، لكن لا بد لك من العودة إلى شقتك، أعتقد أن الفجر على وشك الظهور، ولا بد أن زوجك قد ...

- لقد وضعت له منومًا في الشاي كي ينام حتى آتـي إليك، وإلا ما تركني يا أستاذ (إبراهيم) وما كنت أجلس معك إلى الآن.

هذه السيدة تعرف ما الذي تفعله بالفعل.

قالت ما قالت ونهضت مغادرة الشقة، وعادت إلى شقتها وأنا أرقبها من شرفتي حتى غابت في الظلام.

وجلست أفكر في الأمر.

وتوصلت إلى أن أحكي كل ما حدث لـ (هيثم)، ولَعقلان أفضل تفكيرًا من عقل واحد منهك التفكير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

نهض (يحيى) وعظامه تؤلمه، وجد (سمية) تجلس وتنتظر نهوضه.

جلس على الفراش، ونظر إليها غير فاهم، فقالت له:

- أنت من جعلني أفعل هذا.

- ما الذي فعلته؟!

- أنت من ضغط عَلَيَّ وعلى أعصابي.. كل وقت كان يمر دون أن أنجب لك الولد كنت تبتعد أكثر عني.

- (سمية) أنا لا أفهم ما تقولين.

- دعني أتحدث.

قالتها وأردفت:

- لقد جعلتني أكفر بالله وأذهب إلى الدجالين.

- ماذا؟!

- نعم، لقد فعلت، والآن هذه هي النتيجة.. طفل ليس من البشر.

- (سمية) ما الذي تقولينه؟! هل جننتِ؟!

قالها ونهض تاركًا الفراش، واتجه إليها وأمسك بها من كتفيها، وأخذ يرجها رجًّا، وهو يضيف: - ما بك؟ هل أنت تَهْذِين؟!

صرخت وهي تزيح يديه عنها:

- أنا لا أهذي.. أنت فقط لا تحب أن تصدق.

كانت تقول هذا و(حسن) يقف خلف باب الغرفة يستمع إليهما ويبكي، ثم جلس خلف الباب ضامًّا ركبتيه إلى صدره وظل ينشج وهو ما زال يستمع إليهما.

- بل أنت التي تريدين كل شيء.. المال والزوج والولد، والشقة الفاخرة.

- هذا الطفل ليس ابنك.. إنه نتيجة علاقة محرمة بيني وبين جني.

- مجنونة!!

قالها وهو يصفعها على خدها، وهي تبكي:

- اضربني أكثر أيها الجبان.

في تلك اللحظات نهض الطفل وهو ينظر إلى النافذة وإلى باب غرفة الأبوين، ثم اتجه إلى النافذة، صوت عراك الأب والأم يصل إليه، صعد على المقعد، وقد اتخذ قراره، يجب أن يُصلح هو كل شيء.

هنا خرج (يحيى) ليجد ابنه قد وقف على حافة النافذة، دق قلبه بعنف: - (حسن) ما الذي تفعله.. انزل من عندك أرجوك.

خرجـت (سمية) بدورها لتلحق بـه، ورأت ذات المشهد، وقفت متصلبة لا تلوي على شيء، فهو ابنها وليس ابنها.

تنظر إليه وهي واقفة لا تقوى على عمل شيء، أما (يحيى) فكان يتقدم إلى النافذة بتؤدة حتى يحاول الوصول إلى (حسن) قبل أن يلقي بنفسه منها.. وفـي لحظة ما ألقى (حسن) بنفسه من النافذة، ويد (يحيى) تحاول اللحاق به، لكنه لم يستطع، هنا ظهر كائن غريب بقرنين صغيرين، ضم (حسن) إلى صدره وتلاشى به واختفى من الوجود!

كـان (يحيى) ينظر إلـى ذلـك المشهد غير مصدق وفـاغرًا فـاه ويرتعد، ما هذا الذي حدث بالضبط؟!

كانت (سمية) تبكي، وتصرخ حين قال (يحيى) لها وفمه ما زال مفتوحًا: - لقد اختفى.. لقد أخـذه أبوه.. لقد ذهب معهم ولن يعود. لقد ذهب ابني، ولن يعود لي.

قالها (يحيى) وجلس على المقعد يبكي كالثكالى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كنت أنا أجلس مع (هيثم) أحكي له القصة منذ البداية، وقد قررت أنا وهو أن نحكي إلى الأب المكلوم، وليحدث ما يحدث، هكذا قررنـا وهكذا أخذت بعضي أنا وهو وذهبنا ليلًا إلى بيت الرجل، لنجد أننا قد تأخرنا، لقد رحلت الأسرة عن البناية، لقد لموا متاعهم وذهبوا بين طرفة عين وانتباهتها، ذهبوا بلا رجعة، لقد جاءوا إلى البناية ثلاثة، ورحلوا عنها اثنين.

بعد ذلك بأيام علمت كل ما حدث بعد مكالمة هاتفية جاءتني من (يحيى) يطلب فيها مقابلتي.. ووافقت.

تقابلنا في كافيه بوسط البلد، جلس إليَّ هو وزوجته يقصان عليَّ ما حدث هـذا شـيء.. الشيء الثاني هـو أنـه اعتذر لي فيها عن كـل شيء، بعد أن رآني بنفسه وبعدما حدث ما حدث.

وهكذا تصافحنا على وعد بأن نصير أصدقاء، وتفرق الجمع.

لكن الغريب هو ظهور شبح لطفل صغير في المنطقة حول ذلك البيت منذ ذلك الحين.

ربما سيأتي عليه الوقت الذي يمل ويرحل هو الآخر عن المنطقة، لكن هذا لم يحدث، فما حدث بعدها كان كفيلًا بأن يجعل المنطقة بأكملها ترحل، لكن هذه

قصة أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(من يدنو أكثر يحترق.. تيه تاه.. واه.. أنا ابن النعمان

من يمشي وحده يموت.. تيه تاه.. واه.. في القبر ينام ويموت

من يدنو أكثر يحترق..)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

ميتافيزيقا..

بداية ليست جيدة
جيران جدد
(رباب)
الخديم
عجوز وحيدة
جريمة في الحي الهادئ
عم مؤمن
جريمة أخرى
(ما حدث)
استدعاء رسمي
استدعاء ولي أمر
اكتشاف صغير
(مريم)
جريمة أخرى
(إبراهيم فتحي)
ضابط وطبيب شرعي
(حسن)
ضيف ثقيل
ما حدث